ALFATHI
الفاتح
مجلة علمية دينية دورية
تصدرها هيئة البحوث العلمية بمعهد
الشيخ الحاج مالك للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية
العدد 06، ديسمبر السنة 2018

شاهد من أهله

لمحة عن حياة وأعمال المصلح المجدد

الإصلاح الاجتماعي في فكر الشيخ الحاج مالك سه

لوعة الحزين لفقدان الأمين

معا من أجل السّلام على خطى الأمين

مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة:

ظلال وارفة وقطوف دانية

قصيدة العدد:

أبَا المُصْطفى مَالِي أَرَاكَ مُغَادِرًا؟

جلالة ملك المغرب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين
الملك محمد السادس ملك المملكة المغربية
إلى
أسرة المرحوم الشيخ سيدي بن عبد العزيز سي الأمين
الخليفة العام للطريقة التجانية لأسرة سي بتيوان

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

وبعد، فقد تلقينا ببالغ الأسى والتأثر نبأ وفاة المشمول بعفو الله ورضاه، المرحوم الشيخ سيدي بن عبد العزيز سي الأمين، الخليفة العام للطريقة التجانية لأسرة سي بتيوان والتغمد الله بواسع رحمته وغفرانه، وأسكنه فسيح جناته.

وبهذه المناسبة المحزنة، نتقدم إليكم، ومن خلالكم إلى كافة أفراد عائلتكم الجليلة، وسائر مريدي وأتباع الطريقة التجانية في السنغال الشقيقة، بأسمنا وباسم الشعب المغربي، بأحر التعازي وأصدق مشاعر المواساة، سائلين الله تعالى أن يلهمكم جميعا جميل الصبر وحسن العزاء.

وإننا إذ نشاطركم وأتباع الطريقة التجانية مشاعركم إزاء هذا المصاب الأليم، الذي لا راد لقضاء الله فيه،

مستعرضين ما كان يتحلى به الفقيد الكبير من خصال المؤمنين الصالحين، وما كان يربطه ببلدنا الثاني، المملكة المغربية، من أواصر المحبة والتقدير، وما كان يكنه لجلالتنا، أمير المؤمنين، من إخلاص ووفاء، لنسأل العلي القدير، في هذه الأيام المباركة، أن يتقبله في عداد عباده الصالحين، وينزل ثوابه على ما قدم من أعمال مبرورة، وأن يجعله ممن يصدق عليهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

وإنا لله وإنا إليه راجعون. صدق الله العظيم.

وحرر في يوم الجمعة فاتح محرم الحرام عام 1439 هـ، الموافق 22 شتنبر سنة 2017 م.

أمير المؤمنين
محمد السادس
ملك المغرب

الفاتح

مجلة علمية دينية
يصدرها معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية بتواوون .
السنة الخامسة ـ العدد 06
مولد عام 2018

تأسيس
{الشيخ عبد العزيز سي الأمين}

المشرف العام:
الشيخ أبوبكر سي محمد المنصور
الخليفة العام للطائفة التجانية

رئيس التحرير:
خليفة لو
khalifalo1@live.com

مدير التحرير:
مصطفى سي المدير

سكرتير التحرير:
عبد العزيز باه
elhadjiabdouba@yahoo.fr

هيئة التحرير:
الدكتور بشير انغوم ـ الحاج مالك فال ـ عبد العزيز صار ـ امبي درامي ـ عبد العزيز كيبي ـ بابا مختار كيبي -سيدي أحمد سي عبد العزيز سي - الحاج مالك محمد المنصور سي - السيد مور نيانغ- محمد فاي - ألفا سين

المخرج الفني:
أبو سيراندو
776543837

المراسلات:
أو khalifalo129@gmail.com
B . P : 8 TIVAOUANE
TEL: (+221)339552655 /(+221)339552020
(+221)775767594/(+221)772753399

المقر الرئيسي:
معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية، حي «بام» شمال المدرسة الثانوية الحكومية في تواوون.

الافتتاحية

في مستهل هذا العدد الجديد، من مجلتكم الغراء «***الفاتح***» لا بد من تقديم الاعتذار، ومن طلب المسامحة إلى القراء الكرام لهذه المجلة، والذين دأبوا مع كل إطلالة جديدة للحدث العظيم، حدث الاحتفال والابتهاج بمولد نبي الكريم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على رؤية «الفاتح»، تطل عليهم بثوب قشيب وحلة راقية، تنعش لحظات استمتاعهم بهذه اللحظات المخلدة لولادة أعظم نموذج بشري، بموضوعات شيقة، وتحليلات علمية نفيسة عن مغزى الاحتفال والبشارة بهذه الولادة المحمدية.

ولقد كانت الأسباب الحائلة والظروف الشاغلة التي منعت صدور المجلة في أوانها متمثلة في الترتيبات والإجراءات التي تترافق عادة مع إعداد المجلات، ولأحترامنا لشخصياتكم الكريمة، وحفاظا على المكانة العلمية والسمعة الطيبة التي تحتلها المجلة لديكم، لم نر بدا من تأجيل صدرها، حتى تتوفر الظروف الموضوعية، وتكتمل الاستعدادات المادية لخروجها على الوجه المعتاد، والصورة المألوفة، وهيئة التحرير بكل أعضائها ـ إذا ـ تقدم إعتذارها الكامل، فليسامحنا قراءنا الكرام على هذا التأخر الذي لم يكن ضمن حدود سيطرتنا الكاملة.

وكما يقول المثل: «رب ضارة نافعة»، فقد ينطبق المثل في هذا التأجيل لصدور المجلة، فالأيام الثقافية للدوائر التجانية قررت في دورة هذه السنة، أن يجعل من شخصية فقيد الأمة السنغالية، والطريقة التجانية، الشيخ عبد العزيز الأمين (نور الله ضريحه) راعيا لها، تخليدا لمآثره، وإشادة بمواقفه وأعماله، وتمجيدا وتقديرا لدوره النشيط والحيوي في الإشراف والإنجاز لهذه الأيام الثقافية في دوراتها السابقة.

لقد كان الراحل الشيخ عبد العزيز الأمين من الشخصيات المحورية، والأوجه الرئيسية في التنسيق والإنجاز والإشراف والمتابعة لهذه الأيام الثقافية، وكان وجوده وتواجده فيها يضفي عليها قيمة روحية ونفسية ونوعية، لا تقدر بثمن، وبلا شك، فأهم من يفتقدهم جلسات وفقرات هذه الأيام الثقافية هي شخصيته الباشّة، بنصائحه الغالية، وكرمه الجم، وجاذبيته الفذة، والتي يستقطب بها القاصي والداني، والغريب قبل القريب، ودماثة أخلاقه في التعامل مع الناس جميعا،

ولقد رأت هيئة التحرير مواكبة هذا الحدث الثقافي التجاني باستصدار العدد المتأخر من مجلة «***الفاتح***»، وبتضمينها لمقالات بعضها جديد كل الجدة، والبعض الآخر تم نشرها في الأعداد القديمة للمجلة، وكلها تشترك في أنها ـ إعلاميا وتوعويا ـ تساهم في إضفاء المزيد من التعريف والإبراز والتجلية لشخصية الشيخ عبد العزيز سي «الأمين»، وفي ذكر حسناته ومزاياه، وفي الإشادة بهذه الشخصية التي ينبغي أن يتخذ أنموذجا للأجيال القادمة في التضحية والتفاني وحب الخير، وخدمة الآخرين من أبناء وطنه، ومن كافة المنتسبين للزوايا التجانية.

وسيكتشف القارئ من خلال مقالات هذا العدد أيضا، تعريفا وإطلاعا له بمؤسسة «***محمد السادس للعلماء الأفارقة***»، والتي كان الشيخ عبد العزيز الأمين عضوا بارزا في هيئة تأسيسها، وأخبارا إضافية عن النشاطات والبرامج التي هي بصدد القيام بها في القارة الإفريقية، تجسيدا للعلاقة التاريخية الضاربة في القدم بين المملكة المغربية الشقيقة وبين الدول الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء.

واغتنمنا هذه المناسبة لنشر رسالة جلالة الملك محمد السادس (نصره الله) في الملتقى الثالث لأتباع الطريقة التيجانية في العالم، والذي عقد في شهر مايو 2014 بفاس، وكان الراحل الأمين يرى ضرورة نشره في كل المساجد.

وعسى أن نكون بهذه المساهمة الإعلامية في هذه الأيام الثقافية، قد رددنا بعض الجميل لشخصية الشيخ عبد العزيز سي «الأمين»

هيئة التحرير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب الفضيلة،
حضرات السيدات والسادة،

يطيب لنا في البداية أن نعرب عن ابتهاجنا واعتزازنا بالتئام هذا الاجتماع المبارك، الذي ينعقد للمرة الثالثة لأتباع الطريقة التيجانية من شتى بلدان العالم، وذلك على أرض المملكة المغربية التي تحتضن عاصمتها الروحية مدينة فاس ضريح العارف بالله سيدي أحمد التيجاني المؤسس لهذه الطريقة.

وكما تعلمون فإن اختيار الولي الصالح سيدي أحمد التيجاني لهذه المدينة دارا لإقامته، ومقرا رئيسيا لزاويته ومركز إشعاع لطريقته، لم يكن اعتباطا ولا مصادفة. وإنما كان اختيارا منه لما كان يعرفه - رضي الله عنه - عن المغرب من تمسك بالإسلام، وحرص على اتباع سنة نبيه الخاتم جدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام. وأيضا لما اشتهر به ملوك المغرب الميامين من أسلافنا المنعمين من عناية فائقة بالعلماء، وأقطاب الصوفية، فضلا عما كانت تتميز به المملكة المغربية على امتداد تاريخها من البيعة لأئمة المؤمنين، التي كفلت سندا للإسلام السني الوسطي في مملكتنا السعيدة، ومهدا للشعب المغربي يجد فيها مرفأ للأمن والأمان والوحدة والالتئام.

وبذلك ظل المغرب، الحصن الحصين للإسلام، في الشمال الغربي لإفريقيا. والمنارة التي انطلقت منها أنوار الهداية إليه،

إلى كافة ربوع البلدان الإفريقية جنوبي الصحراء، بتوجيه مُلوكه العظام. وعلمائه المُعدالة الأعلام، وصوفيته العارفين، الجامعين بين الشريعة والطريقة والحقيقة.

ولما كانت الطريقة التيجانية التي أسسها الولي الصالح والقطب الشامخ سيدي أحمد التيجاني في القرن الثاني عشر الهجري قد قامت على تقوى من الله ورضوان، وبنت صرحها العتيد على الجمع بين علم الظاهر وعلم الباطن، ومجاهدة النفس، والمواظبة على الذكر، وتشبث مريديها بالسنة المحمدية الغراء، في التزام بوحدة الجماعة، ونشر المحبة والوئام بين أفراد الأمة، فقد لقيت من ملوك الدولة العلوية، من أسلافنا المنعمين، كامل الرعاية وموصول العناية، وكان في مُقدمتهم السلطان المولى سليمان الذي تلقى الشيخ سيدي أحمد التيجاني بالترحيب والتوقير، وأحاطه بموصول العناية والتبجيل، حينما وفد على هذه الحاضرة التي وجد في علمائها ومُريديها التجاوب الروحي المنشود.

ولا يخفى ما كان للطريقة التيجانية بالربوع الإفريقية جنوبي الصحراء والساحل الغربي، وعلى امتداد الآفاق مشرقا ومغربا، من دور كبير من نشر الإسلام وتصحيح عقيدته، والدعوة إلى مكارم أخلاقه، وما كان لأتباعها من حرص صادق على انتشال الآلاف المؤلفة من الأفارقة من أضاليل الوثنية والشرك بالله، ومقاومة الاستعمار، فقد قامت هذه الطريقة برسالتها المضيئة وتربيتها القويمة في جعل الإسلام منهجا للاستقامة والصلاح، والمحبة والإخاء بين سائر أبنائها في كل البلدان التي أوسعت صدرها لهذه الطريقة بين أهلها. وقد كفل المغرب بقيادة أسلافنا الميامين وفيا لتقاليده العريقة في رعاية التصوف وأهله، وإحاطة مشايخه وزواياه بالتوقير والتعظيم كلما التزموا بمنهاج السنة المحمدية، وبوحدة الأمة والجماعة بقيادة إمام المؤمنين، الساهرة على صيانة الوحدة المذهبية للأمة، والوحدة الوطنية والترابية لحوزتها، ونشر قيم الوسطية والاعتدال والتسامح والتعايش، وترسيخ أواصر الأخوة بين الأفارقة، تلكم الأخوة التي هي الأساس المكين والركن الركين لبناء صروح التعاون في كل مجالات التنمية البشرية بإفريقيا.

ومن هذا المنطلق الوجيه، ما فتئنا بوصفنا أميرًا للمؤمنين ملتزمين بالسهر على الفضاء الديني، وترسيخ قيم الإسلام السمحة في الوسطية والاعتدال، ونبذ التطرف الأعمى، والتسييس المغرض للدين، وهو المنهج الذي نرسخه في مملكتنا، ونتعاون في تفعيله مع أشقائنا الرؤساء الأفارقة، حريصين على التعاون البناء مع كافة الدول الإسلامية الشقيقة على بناء الوحدة والتكامل فيما بيننا، ونبذ الخلاف والتفرقة، ودعم حسن الجوار مع أشقائنا المغاربيين.

حضرات السيدات والسادة،

في سياق هذه السياسة الرشيدة، التي ننهجها بإيمان راسخ، ومنظور وحدوي ملتزم، واستراتيجية تنموية طموحة قائمة على تفعيل دور التصوف في إشاعة الأمن الروحي، ونشر قيم المحبة والوئام، وتطهير النفوس من جذور التعصب والحقد والكراهية، يلتئم هذا الجمع المبارك للطريقة التيجانية لتدارس شؤونها، والقضايا المتعلقة برواياها وتفعيل التنسيق بين أجهزتها، من لدن مشايخها، وكذا التبادل الرأي في رسم خطط العمل للنهوض بالتربية الروحية بما يلائم المستجدات. وهو الأمر الذي يدل على وعيكم العميق بضرورة نهوض الطريقة التيجانية برسالتها، في هذه الظرفية التاريخية، بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، التي هي أحوج ما تكون إلى مساهمة كل الفاعلين من علماء وفقهاء وصوفية لرفع تحدي التطرف الأعمى ونزوعات الانفصال والانقسام.

فهذا المطلب الملح، لا يمكن أن يتحقق إلا بالتعبئة الجماعية لكافة الدعاة إلى الإسلام الوسطي، ومنهجه السني في ديار الإسلام. لسد الطريق أمام دعاة التطرف والإرهاب والتجزئة والانقسام، والمذاهب الضالة. ولا شك في أن الزوايا التيجانية بكافة أتباعها مدعوة إلى تفعيل منهجها القويم، على ما هو معهود في أتباعها من التزام بالسنة المحمدية، في نشر المحبة والإخاء بين أتباعها، والترقية السلوكية للمنتسبين إليها، والتضامن الفعلي في جمع الكلمة وتوحيد الصف والسمو عن نزوعات التفرقة والاختلاف.

ومن هنا يتجاوب اجتماعكم اليوم - حضرات السادة الأفاضل - على أرض المملكة المغربية، مع اهتمامنا الخاص بالتصوف، وبتفعيل منهجه التربوي، الذي يستهدف إصلاح شخصية المسلم، حيث ستجدون، وبأمر من جلالتنا لوزيرنا في الأوقاف والشؤون الإسلامية، ما يخصكم به من رعاية مولوية سامية ورعاية دائمة، وتوفير ظروف الحوار الملائمة لتبادل الرأي والتناصح والتفاهم، فيما يحقق تطلعنا إلى قيامكم بالدور التربوي والروحي المنوط بكم. تجسيدا بل تجديدا للدور الذي قامت به الطرق الصوفية، ومن بينها التيجانية، في سالف العهود من الجمع بين الشريعة والطريقة، في توازن وانضباط، والعمل على تأليف القلوب، وجمع كل فئات الأمة الإسلامية على كلمة سواء، ولا سيما بمنطقة المغرب العربي، على درب الوحدة والتلاحم والوئام.

حضرات السيدات والسادة،

انطلاقا مما قلدنا الله إياه، من أمانة عظمى متمثلة في إمارة المؤمنين، لم نفتأ نرعى الطرق الصوفية القائمة على تخليق المنتسبين إليها في ضوء السنة النبوية الغراء. والعهدي العتمدي الوضاء. داخل المغرب وخارجه، ولا سيما بالبلدان الإفريقية الشقيقة التي نعمل على ترسيخ الروابط الأخوية بين شعوبها، والتعاون الوثيق مع قيادتها الحكيمة. لا نتوخى من ذلك سوى شد أزرها في تحقيق نهضتها وتنمية طاقاتها، ونشر قيم التسامح والتعايش والوئام والالتحام بين فئاتها. اعتقادا منا بجدوى تفعيل الطاقات الروحية والمنهج الرباني في بناء شخصيتها.

ومما لا شك فيه أن للطريقة التيجانية رصيدا تاريخيا لا يستهان به في هذا المجال التربوي الحكيم لتزكية النفوس، ومقاومة نزوعات المادية الجارفة التي وجدت في اهتزاز القيم وشيوع التشكيك في الدين من منطلق الصورة المضللة التي أشاعها المتطرفون، ما يؤكد ضرورة إحياء منهج التصوف بكل طرائقه ومشاربه، لمداواة النفوس، وكبح جماحها، واسترجاع التوازن بين المادة والروح في ضوء الوسطية الإسلامية السمحة.

وفي الختام فإننا ننوه بما يجمع التيجانيين فاهبة، منذ تأسيس طريقتهم إلى اليوم، من مشاعر التعلق والوفاء لملك المغرب، بوصفه أميرا للمؤمنين وسبطا للنبي الأمين. مبادلين إياهم نفس الوفاء، مسبغين عليهم موصول الرعاية أينما كانوا، داعين إياهم أن يحافظوا على اتخاذ المغرب قبلة لهم في الورد والصدر، أسوة بمؤسس الطريقة - رضي الله عنه -، في اتخاذ هذا البلد الأمين مقاما، ومنهم المستقر. كما نطلب منكم أصحاب الفضيلة، أن تخصوا جلالتنا بنصيب من أدعيتكم المستجابة، كلما حفت بمجالس ذكركم ووظائفكم نفحات التجلي وأوقات الإجابة.

وإننا إذ نرحب بكم حضرات السيدات والسادة ضيوفا مكرمين بمدينة فاس، مدينة المؤلف ولي وفقيه من أئمة الإسلام الأعلام، فإننا نجدد لكم موصول رعايتنا. وسابغ عطفنا، وفقكم الله وسدد خطاكم على المحجة المحمدية الغراء، على صاحبها أزكى الصلاة والسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الإثنين 12 رجب 1435 موافق 12 ماي 2014م.

محمد السادس
ملك المغرب

مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة:

ظلال وارفة وقطوف دانية

كانت القارة الأفريقية في أمس الحاجة إلى شجرة وارفة ضافية يانعة، تستظل بظلها وتستنشق العطر من هواءها، وتآكل من ثمارها، فاضطلع أحد أبناءها البررة؛ ألا وهو ملك العمل والأمل، ملك المبادرات والإنجازات والطموحات، لترجمة تلك الرغبة الملحة على أرض الواقع، من أجل سد الفراغ، وشفاء الغليل، فبادر بغرس بذور الأمل والتفاؤل في القلوب، أولا، ثم تعهد بيدي جلالته الكريمتين تلك الشجرة، التي أصلها ثابت وفرعها في الآفاق، يسقيها بماء العناية التامة، والرعاية الفائقة، فوجدت القارة الإفريقية نفسها ووجودها، في هذه البادرة المحمدية الطيبة المباركة، وتلك حيثيات ولادة مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، والتي تعتبر بكل المقاييس والمعايير ولادة صحوة، وطلعة جديدة للقارة الأفريقية خصوصا، ولقارات العالم عموما، وتناسبت ذلك مع صدور ظهير ملكي شريف رقم،1.15.75 الصادر في 7 رمضان 1436هجرية 24/ يونيو 2015 ميلادية ونصه الشريف :

«الحمد لله وحده

الطابع الشريف بداخله

(محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف الله وليه)

يعلم من ظهيرنا الشريف هذا ،أسماه الله وأعز أمره أننا:

وعيا من جلالتنا الشريفة، بأهمية الروابط الدينية والتاريخية والثقافية، التي تجمع المغرب بإفريقيا باعتباره جزء لا يتجزأ منها:

وسعيا لتوحيد جهود علماء المغرب وباقي الدول الإفريقية، لخدمة مصالح الدين الإسلامي، وفي مقدمتها التعريف بقيمها السمحة ونشرها، وتشجيع الأبحاث والدراسات، في مجال الفكر والثقافة الإسلامية؛

ورغبة من جلالتنا الشريفة، في المحافظة على وحدة الدين الإسلامي، وصد التيارات الفكرية والعقدية المتطرفة، وفتح فرص لتبادل الآراء بين علماء القارة وتنمية مداراك الناس العلمية والمعرفية؛

وتعزيزا لما يربط المملكة المغربية والدول الإفريقية من روابط تاريخية ودينية وحضارية عبر العصور؛

وحرصا على حماية العقيدة الإسلامية، والوحدة الروحية للشعوب الإفريقية من كل النزاعات والتيارات والأفكار التضليلية، التي تمس بقدسية الإسلامية وتعاليمه ومقاصده؛

وإيمانا بضرورة توحيد جهود علماء الإسلام، بالقارة الإفريقية للنهوض برسالتهم النبيلة، على أكمل وجه في الإرشاد والتوجيه، والبيان والتربية على كريم السجايا وحميد الخصال؛

لهذه الأسباب فقد قرّ عزم جلالتنا الشريفة، على جمع جهود علماء مملكتنا وجهود زملائهم بالقارة، على تحقيق تلك الغايات السامية .....»

بهذا الظهير الشريف، المتعلق بإحداث ***«مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة»***، تم إنشاءها، كما تم الإعلان عن تأسيسها في القصر الملكي بالدار البيضاء، ليلة 26 رمضان 1436 هجرية الموافق 31 يوليو 2015، وتم تنصيب المجلس الأعلى للمؤسسة في فاس يوم الثلاثاء 8 رمضان 1437 هجرية الموافق 14 يونيو 2016.

وبدأت المؤسسة تباشر نشاطاتها، مع توسيع نطاق أعمالها في كافة الفروع المنضوية تحتها البالغة 32 من مختلف البلدان، وقد حققت على مدار عام واحد تسعة عشرة نشاطا علميا ثقافيا محليا وجهويا ودوليا، تمثلت في: ـ ندوات فكرية علمية ـ وورشات تدريبية لتكوين الأئمة ـ ومحاضرات ـ ودورات للتواصل في المغرب بالذات، وفي كثير من الفروع، تمحورت حول ثوابتنا المشتركة، وهي : العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والتصوف السني، وذالك بفضل جهود رئيسها المنتدب؛ معالي وزير الأوقاف الدكتور أحمد توفيق، وحسن تنسيق أمينها العام؛ محمد الرفقي مع رؤساء الفروع وجميع المتعاونين معهم.

والفرع السنغالي، بصفته جزء من المنظومة الكلية، والذي يحتضن في رحابه مشايخ الطرق الصوفية، والقيادات الدينية في السنغال، برئاسة البروفيسور روحان انبي، قطع شوطا بعيدا، في سبيل أداء مهمته السامية ورسالته النبيلة في برنامجه السنوي المحدد له كباقي جميع الفروع، وتم في هذا الصدد:

خلق إطار مناسب وأرضية خصبة، لمزيد من التقارب والتشاور، والتنسيق بين الشيوخ الأجلاء؛

خلفاء الطرق والقيادات الدينية، بمن فيهم الأئمة والعلماء، ما يؤكد على وحدة مشاعرهم وأحاسيسهم، كالجسد الواحد، يجتمعون على أهداف واحدة، ومصالح مشتركة، وخير مثال وأنصع دليل على ذلك، يتجسد في موافقتهم جميعا على توقيع رسالة طلب إلحاق الأئمة السنغاليين بمعهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات بالمغرب، وقد لقيت هذه الرسالة قبولا حسنا مشرفا، ومبيضا لوجوههم من صاحب الجلالة الملك الهمام؛ محمد السادس، نصره الله، والذي تتجدد التشكرات الحارة والدعوات الخالصة لجلالته على تلك اللفتة المولوية الشريفة، وتلك، لا شك، ثمرة يانعة من ثمرات هذه المؤسسة الرائدة، وفي رأينا لو لم يكن لها غير هذا لكانت جديرة بالتقدير العالي والإشادة التامة بها في كل المنابر عبر العالم.

عقد عدة اجتماعات مكثفة، كما تقرر بعدها تنظيم ندوة فكرية، حول « دور التصوف السني في خلق مجتمع متوازن «، كانت مناسبة ناجحة جدا، ولقد أخذ الأعضاء على أنفسهم العهد الصادق، والاستعداد الكامل، لمواصلة المسيرة ومباشرة الأعمال، دون أدنى تردد أوسآمة أوتراجع، إيمانا منهم بأن المؤسسة بذرة مباركة، غرستها أيدي صاحب الجلالة، بكامل العناية والرعاية والشفقة، والدور الذي يتحتم علينا القيام به، هو السعي على سقيها بما يكفي، من ماء الصدق والإخلاص، والثبات والجهد المتواصل، والنشاط الدائم، والهمة العالية، والإرادة القوية، والتفاني في خدمة المؤسسة.

وستتواصل جهود المؤسسة في العام القادم 2019 إلى إضافة مشاريع عمل مكثفة وفق توصيات اجتماع المجلس الأعلى للدورة الثانية المنعقد في فاس يومي السبت والأحد 4 /5 نوفمبر 2018 .

ـ ندوات وملتقيات دولية حول الثوابت المشتركة، وحول جهود علماء الأفارقة في تحقيق السلام وإصلاح ذات البين، ومواضيع أخرى ذات صلة بالقرارات المتخذة. ـ ومنها ـ مسابقة قرآنية ـ دورات لتكوين الأئمة ـ الإشراف على برنامج محو الأمية ـ إنشاء مجلة دورية للعلماء الأفارقة ـ ورشات حول ـ المرأة المسلمة ـ إنشاء مكتبة ضخمة ـ ومنها طبع مؤلفات علماء القارة ـ إحياء التراث الإفريقي إلى غير ذالك من أنشطة، ستقوم به المؤسسة في غضون عام 2019 وكل ذلك ينصب في همة صاحب الجلالة محمد السادس، وعزمه الأكيد، على حماية القارة الإفريقية، الغنية بتراثها المجيد، ضد كل التيارات الوافدة والموجات العارمة.

ومع طلوع فجر ذكرى مولد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، نتقدم بباقة معطرة من التحية والتبجيل، والتهنئة إلى مقام أمير المومنين؛ وحامي حمى الملة والدين، محمد السادس، نصره الله، وإلى كافة أعضاء المؤسسة، باعتبارهم أسرة واحدة متماسكة الأطراف، تجمعهم أهداف وغايات ومقاصد واحدة، كما نتقدم بتهانينا إلى جميع الأمة الإسلامية، وإلى جميع أعضاء السلك الدبلوماسي وأصحاب الجمعيات الإسلامية، الذين يشاطروننا فعاليات الاحتفال بذكرى مولد نبي الرحمة؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مدينة تواوون بالذات؛ مدينة العلم والنور؛ مدينة الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه، الذي دعا إلى إقامة هذا الاحتفال على نمط فريد يتمثل في ربط حياة الأحباب بسيرة خير الخلق، الناصر الحق بالحق، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق تعليم سيرته العطرة التي هي النموذج الأمثل للبشرية جمعاء.

ألا عظموا ليل الولادة حسبة

إذا لم يكن نحو الحرام عدول

وكذلك، نتقدم بتهانينا الحارة إلى سماحة الخليفة؛ الشيخ أبي بكر محمد المنصور سي، الذي خلف صنوه؛ مولاي الشيخ عبد العزيز الأمين، الذي لا ينسى التاريخ أعماله وجهوده، ومواقفه الجليلة التي سكنت القلوب، رضي الله عنه وعن جده مولانا الشيخ الحاج مالك، وعن أولاده الكرام السيد؛ أحمد سي، الشيخ الخليفة أبي بكرسي، الشيخ الحاج محمد المنصور، الشيخ الحاج عبد العزيز سي، الشيخ محمد الحبيب، ورضي عن كافة أحفاده الشيخ محمد المصطفى جميل، الشيخ محمد المنصور، الشيخ أحمد التجاني، الشيخ عبد العزيز الأمين، وعن كافة المقدمين والعلماء والأئمة والأحباب.

ونسأل الله أن يبارك في عمر الخليفة الشيخ؛ أبي بكر، وفي أعمار أشقائه الكرام الشيخ السيد أحمد أبي بكر، والشيخ الحاج مالك أبي بكر، والشيخ الحاج مالك سي، وكافة الأسباط والأحباب.

الشيخ الخليفة لو
رئيس جمعية الفاتح
رئيس هيئة التحرير في مجلة الفاتح
عضو المجلس الأعلى لمؤسسة محمد
السادس للعلماء الأفارقة
الكاتب الإداري في فرع المؤسسة بداكار

لمحة عن حياة وأعمال المصلح المجدد

الشيخ الحاج مالك «سي رضي اللّه عنه»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع درجات العلماء القائل في محكم تنزيله : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» [1] .

والقائل أيضاً : «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»[2] .

والصلاة والسلام على النبيِّ الأميِّ الذي علَّم البشريَّة كلَّها والذي قال الله في حقِّه: وإن تطيعوه تهتدوا النور : 54 . وآله وأصحابه وخلفائه الذين آووه وآزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وأولئك هم المفلحون .

ورضي الله عن إمام المقربين وتاج العارفين مولانا وشيخنا الحاج مالك سي وآله وخلفائه ومقدميه ووسائله وعن كافة أولياء الله الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

أصبحت الحاجة ماسة في الكتابة عن حياة وأعمال علمائنا الأجلاء وزعمائنا الأعزاء الذين بفضل جهادهم المستمر، وكفاحهم المستميت ، انزاحت الحجب والغيوم المتلبِّدة في الأجواء ، وحصحص الحق واتَّضح أن الحق مهما كثر الصخب وعلت الضوضاء في الآفاق فإنه سيعلو .

يقول الله سبحانه وتعالى : «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[3] .

وهذا النصر المبين الذي مازال يلوح في الآفاق يرجع إلى مواقف وقفها رجال عظماء وعلماء أجلاء ما زال التاريخ القديم والحديث يسجِّل أسمائهم بمداد من الذهب في أنصع صفحاته. فكيف لا؟ وهم بما قدموا من جلائل الأعمال الصالحة ومن تضحيات في جميع المجالات يهون أمامهم كلُّ شيء ويصغر أمام همتهم الخالدة، وعزيمتهم المضاءة كلما سوى الله سبحانه وتعالى.

وقديما قيل: إن حياة الرجال العظماء تقاس وتوزن بقدر تزودهم وتسلحهم بسلاح الإيمان بالله، ومدى استعدادهم للتضحية والفداء وخوض المعارك والحروب، ومواجهة الصعاب والمحن لتحقيق الحق، وإقامة العدل، ونشر السلام ، ومحو الجهل والأميَّة، وإزاحة الجور والمنكر والرزيلة، وإعطاء الحياة معناها الحقيقي حتى يستتب الأمن والاستقرار والطمأنينة والسكينة في القلوب والنفوس والأرواح .

نعم: إن أمثال هؤلاء الرجال هم أعمدة البناء الحضاري والصرح العمراني الذي مازال الإنسان يتلمس الطريقة لإقامته في كل عصر من العصور وفي كل مرحلة من مراحل تاريخ الحياة الإنسانية على سطح هذا الكوكب الأرضي .

يقول الله سبحانه وتعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا»[4].

والواقع يفرض علينا سرد سيرة هؤلاء الرجال الذاتية لما تتضمن من عبر ودروس للأجيال الحاضرة

(١)(المجادلة:١١

(٢)(الزمر:٩

(٣)(الأعراف: ١٢٨

(٤)(الأحزاب:٢٣

والصاعدة التي تعيش أمام موجات من الأفكار والآراء المتناقضة مع جذور تاريخها وتراثها الإسلاميين.

هذا ومن خلال سرد حياتهم يتعلم الجيل المسلم ويعرف كيف يعيش ويتعامل مع الحملات والروافد الفكريَّة الهادفة إلى القضاء على روح الإسلام في نفوس أبناء المسلمين.

فحتى الرسول سيدنا محمد الأسوة الحسنة والمثل الأعلى في السموِّ الروحيِّ والكمال الإنسانيِّ كان الله يأمره بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كما كان الله يقص عليه قصصهم ليصبر كما صبروا يقول الله سبحانه وتعالى: «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل»[1] الأحقاف : 35. وقال أيضاً : «وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين»[2].

وعلى هذا فإنه يسعدني غاية السعادة أن أبدي تأثري البالغ وأنا أقرأ بنهم وشغف الرسالة التي استلمتها من إدارة معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية والتي كلفت فيها بكتابة مقال تحت عنوان : لمحة عن حياة وأعمال الشيخ الحاج مالك سي المصلح المجدد.

وأول ما انطبع في قلبي بعد قراءة الرسالة هو تخصيص الثناء والدعاء الخالص لأخي وحبيبي الشيخ المحترم السيد عبد العزيز سي الأمين الناطق الرسميِّ باسم الخليفة العام للطريقة التجانية الشيخ المحترم السيد الشيخ أحمد التجاني سي حفظهما الله ورعاهما وكافة إخوتهما الكرام لما يقومون به من جهود جبارة لترسيخ دعائم المدارس القرآنية وركائز المعاهد الإسلامية في ربوع هذه البلاد .

فجزاهم الله عن الإسلام والوطن جزاء موفورا بحق : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين»[3]. وبحق قوله سبحانه : «إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً»[4] .

وليس من باب الصدقة أن يكون موضوع بحثي ومقالي حول حياة عالم صوفيٍّ ومصلح مجدِّد يحتلُّ في قلبي مكانة عظيمة لأنني قد سميت به فكان ذلك نوراً وشرفاً لي ، ولأنني بعد تتبع مشوار حياته العلمية والدينية وسيرته الذاتيَّة وأسلوبه الفريد في مواكبة الحياة الخاصة والعامة عرفت أنني أمام رجل عظيم وداعية كبير أفنى عمره الغالي في التفكير المثمر والإنتاج العلمي المستمر نثراً وشعراً ووعظاً وإرشاداً، وأمام مصلح مجدد أسهم إسهاماً فعَّالاً في مجال الدعوة إلى الله بالعلم والتعليم والتزكية والتهذيب ، ونشر رسالة الإسلام الخالدة إلى كافة أنحاء المعمورة .

من هو الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه؟

إنه البدر الذي ازدانت بولادته قرية «كايه» البعيدة عن مدينة « داكانا « ببضعة الأميال بمنطقة « والو « .

ولد سنة 1854 م من أب عالم ورع زاهد وهو الشيخ عثمان سي ومن والدة عابدة ورعة فانية في حب العلم وأهله وهي السيدة فاطمة ودّ ول .

وتربى وترعرع في جو مشبع بالفضل والصلاح وتفتحت براعمه في ظلال دوحة علمية باسقة ، فجال في مختلف أنحاء البلاد لإشباع رغباته العلميَّة فدرس وتفقه وتضلع في كثير من فنون العلم والمعرفة وأجيز من طرف شيوخه حين أنسوا فيه النبوغ والتفوق والذكاء .

وفي عام 1889 م حجَّ واعتمر ورجع إلى بلاده بعد أن اجتمع بكثير من العلماء الذين ناقشوه في شتى ميادين العلم فعلموا أنه ابن بجدتها وفارس حلبتها .وانتصب للتدريس والتكوين والتأليف والتوعية ودعوة الناس إلى الله وإرشادهم إلى كل ما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية .

ولقد كان منهجه في ذلك كله الوسطيَّة والاعتدال والاتزان ضمن مقاصد الشريعة وأهدافها العامة القائمة على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ومراعاة الظروف والملابسات التي تتم فيها عمليَّة الدعوة .

نعم: فهو إدراكاً منه أنه من ورثة الرسول الذين

(١)(الأحقاف: ٣٥

(٢)(هود:١٢٠)

(٣)(العنكبوت:٦٩)

(٤)(الكهف: ٣٠)

شرفهم الله بنور العلم والمعرفة فهم أن رسالته في هذه الحياة هي التركيز على تحقيق إنسانيَّة الإنسان والعمل على إبراز القيم المثلى والصور الروحيَّة الفضلى التي بها تتحقق الحياة الفاضلة السعيدة على سطح هذا الكوكب الأرضي وإلا انقلبت الحقائق والموازين رأساً عل عقب.

نعم: لقد عظم ارتياحي وأنا أمام رجل كرَّس حياته كلَّها في تحصيل العلم والتوعيَّة الدينيَّة والاجتماعيَّة لأنه لاحظ أن أخطر داء ينخر كيان الأمة الإسلاميَّة ويمزق أوصالها ويضعف معنويَّاتها هو داء الجهل والأميَّة .

إذا ما الجهل خيَّم في بلاد
رأيت أسودها مسخت قرودا

وكان لزاما على العلماء والأعلام العاملين في مجال الدعوة والإرشاد أن يركزوا جهودهم على محاربة هذا الداء الفتَّاك واستئصاله وذلك بإرشاد دعائم التربية الرصينة للفرد ، وإرهاف مشاعره وأحاسيسه وصقل مواهبه الفكريَّة والعقليَّة، وتحفيز ضميره الإنساني وتفعيل طاقاته الروحيَّة الوهبيَّة والكسبيَّة حتى يكون فردا قادرا على التفاعل اللازم مع معطيات الحياة الحضاريَّة و العطاءات الكونيَّة والتطلعات الإنسانيَّة من أجل إقامة بناء وصرح حضاري مناسب وجوٍّ فكري موات لتبليغ الرسالة الإلهيَّة إلى كل أنحاء المعمورة .

وهذا ما لمسناه فعلا في كتابات هذا المصلح المجدد الذي له باع طويل في مجال توعية العقول التائهة الحائرة وتجديد رسوم الدين ومعالمه الحضاريَّة وتزكية النفوس الغافلة عن ذكر مولاها إلى نفوس زكية راضيَّة مرضيَّة .

ولعل هذه الأبيات التي جادت بها قريحة ابنه ومريده الشيخ الحاج محمد الهادي توري في حقه ما يؤكد ما أشرت إليه من عظمة هذا العالم الداعيَّة الذي شاع صيته في الاقطار والبلدان .

أتيت والدين يشكو وهو مغترب
إهانة وصدودات وعدوانا
فقمت مجتهدا في ذاك منفردا
تالله مستنجدا لله مولانا
مدرسا كلَّ علم كان مندرسا
بين المدارس بيضانا وسودانا

فكان يرى أن خطورة الوضع وتأزمه وانتشار العادات السيئة، وتغلب الشهوات وقساوة القلوب ، وضعف الحياة الروحيَّة، تفرض عليه أن ينفذ حياته إلى قلوب أبناء الأمَّة ليغرس فيها شجرة الإيمان يانعة ومثمرة ، وإلا فإنَّ العدوَّ اللدود واقف بالمرصاد .

ومن هنا أعلن صرخته المدويَّة قائلا :

ألا يا بني هذا الزمان دعوتكم
لإحياء دين بالعلوم أجيبوا
دعوتكم لله لا غير مطلبي
فعون إله العالمين حسيب

ونستنتج من هذا أن دعائم مدرسته ودعوته إلى الله قائمة على التعليم وتحصيل النشء، فكان يدرس ويدرِّس ويعظ ويوجه ويرشد ويربِّي الأرواح والنفوس ويرقيها إلى مقامات التحقق ، والتخلق بخصال الحبيب المصطفى محمد.

وكان يرى أنَّ معالم الدين في هذا القطر الإفريقيِّ المسلم تكاد تكون مندرسة ومنطمسة فقام ليقدِّم لنا إصلاحات هادفة إلى إحياء هذه المعالم وتجديدها وإصلاحها .

وكان مفهوم التجديد عنده هو تجديد حال المسلمين، وإيقاظ هممهم، ولكنه لم يكن في وقتٍ من الأوقات من دعاة التجديد الذين يريدون هدم كل شيء أو الإتيان بشرع جديد أو طمس الهوية الذاتيَّة للفرد المسلم باسم التجديد.

والتجديد كما عبر عنه الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي مبدأ مشروع في الدين، وفي ذلك يقول : ((التجديد الحقيقيُّ مشروع بل مطلوب في كل شيء، في الماديات والمعنويات في الدنيا والدين حتى وإن الإيمان ليحتاج إلى تجديد ، والدين يحتاج إلى تجديد)) .

وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو مرفوعا: ((إنَّ الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة : ((إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها دينها)) رواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه .

وكان يرى أن أحوال الأمَّة العقديَّة والإيمانيَّة والاجتماعيَّة تتدهور من يوم إلى يوم نظرا للابتعاد عن جوهر الدين ولبِّ الشريعة السمحة .

فالخرافات والأباطيل والأوهام كانت سائدة، والآيات القرآنية تقرأ قراءة سطحيَّة انتقائيَّة تسلخها عن سياقها الحقيقيِّ ورؤيتها الشاملة لتغطية كل حركات الوجود الإنسانيِّ .

وبما أنَّه لم يكن الداعيَّة الذي يتخاذل عن أحوال الأمَّة الإسلاميَّة أو ينطوي على نفسه أو ينزوي في ركنه ،كان كلَّما لاحظ انتهاكا لحرمات الدين أيّا كان مصدره إلاَّ وأسرع في التنديد بذلك إما بيده أو لسانه أو قلمه السيَّال إسهاما منه في تحقيق الوعي الدينيِّ والثقافيِّ وإعادة بناء الأفكار والعقليات العامة ، وإيقاف الزحف

التنصيريِّ والمد الاستعماريِّ الذي كان يخيم على

البلاد .

لقد استفاد من تجارب من سبقوه من أعلام هذه البلاد وعرف أن نجاحه في تبليغ رسالة الإسلام الخالدة مرتبط كلَّ الارتباط بتقدير الظروف التاريخيَّة والملابسات التي تمر بها البلاد آنذاك من حيث الضعف الإيمانيِّ والركون إلى هذه الفانية ، وانتشار عبادة الطاغوت فرأى أن جهاده يجب أن ينصب على تحرير الناس من هذا الغزو الحضاريِّ والمعرفيِّ الزاحف وإيقافه قبل فوات الأوان .

ولقد فطن أن النجاح في هذا الميدان الوعر لا يكون بالمواجهة الدمويَّة بقدر ما يكون بالتوعيَّة وتزويد الناس بسلاح الإيمان بالله المتوطد في أعماق النفس وتحقيق الهويَّة الذاتيَّة .

وهكذا فتح مدارسه المنتشرة في طول البلاد وعرضها ليؤم إليها الناس من كل حدب وصوب فأصبحت حصونا وقلاعا وزوايا يوفد إليها الناي أبنائهم للتعلم والتزكي والتدرب على الصبر والثبات وطاعة الله والاستقامة والابتعاد عن أماكن اللهو واللعب والفسوق والعصيان.

ولقد قام بحملة تعليميَّة ودعويَّة مكثَّفة كوَّن بها أجيالا واعيةً وقادرةً على مواجهة جميع التحديات التي كانت سائدة آنذاك، ولم يكن في يوم من الأيام يملك سلاحا ولا بندقيَّة غير إيمانه ومصحفه وسبحته ومكتبته العلمية الزاخرة بمختلف المراجع والمصادر التي كان يقتنيها من التجار المغاربة أو يستوردها من البلدان الإسلاميَّة .

وتعالوا أيُّها القراء الكرام عشاق العلم وروَّاد المعرفة إلى تذوُّق حلاوة هذه القصيدة التي صور لنا فيها الشيخ صورة واضحة للأوضاع الحرجة التي كان الناس يعيشونها :

ألا إن أبناء الزمان تسابقوا
إلى زينة الدنيا ونيل علاء
لقينا زمانا لا يبالون صفوة
وما همهم إلاَّ طوال بناء
زمان طموح العين دون قناعة
وما دينهم إلاَّ احتياز ثراء
وقد جعلوا روم الهديَّة حرفة
تهادوا بها سر عظيم غناء
وميزان داع للهدى رفع همة
عن الخلق كي يجني جميل ثناء
وما كان عيبا صار حسنا توافقا
لقد جلبوا للدين كلَّ بلاء
ترى مسلما في بيع خمر محله
وبائع دين في اختلاط نساء
ورافعة صوتا وأصوات حليها
حرام سماع مثل شمس ضحاء
وآكل أموال اليتامى وتاركا
لوالده في فتنة وعناء
وتارك أوقات لخدمة شيخه
كعابد أصنام بغير مراء
هل الشيخ أعلى رتبة لنبيِّنا
فجاهد صلاة الخوف غير خفاء
كفى زاجرا يلقون غيا وواعظا
لتأخير أوقات وترك أداء
وضامن جنات من المكر آمنا
وخسران ذي أمن شديد جلاء

ومن يدعي مهدية لاغتراره
وحمق وجهل حالبا لشقاء
وما كل سودا تمرة عند ذوقها
ولا كلُّ بيضا شحمة بإخاء
ألا كل ذا قلب الحقائق فاعلموا
على مفتدى الهادي لزوم إساء
ألا نبهوا الأتباع كي لا تؤاخذوا
بما أحدثوا في الدين دون سواء
على كل متبوع دلالة تابع
لما هو أجدى لا لجلب عطاء
فتعليمهم فرض ولو بإجارة
وإلا عليك الإثم يوم لقاء
تفقهنا فسق بدون تصوف
وكل سائر التتميم دون مراء
وذي نبذة من أضعف الخلق خبرة
يروم من الإخوان حسن دعاء

وقال أيضا :

بحر الرياسة أخا الجهل عميق
الغرق الغرق يا ويح الغريق
كن خائفا إمامة الأوراد
مع العمائم بلا رشاد
تظن أن نيلك التقديما
أو العمامة كفى التقديما
فلو علمت ما حدود الشيخ لم
تفرح به قبل خلو قد ألم
يا جاهل الأمور فالتخلي
مقدم حق من التحلي
تطلب كل يوم الكرامة
ألم ترم من قبلها استقامة
وربَّما تضمن استدراجا
كرامة لا تخطئ المنهاجا
من ذلك استجابة الدعاء
كراهة الصوت بلا خفاء
إن الجداول بها انجدال
ولتعن بالإخلاص يا جدَّال
وفعل مأمور وترك ما نهى
فذلك الأسرار صاح انتبه
وما يقال إنها الأنوار مع
ترك صلاة فعل شيطان وقع
ومن دعا الحال وكان غافلا
عن التكاليف يكون جاهلا
نعوذ بالله من الجهاله
وما يؤديها بكلِّ ساعه

إلى أن قال :

وهم يظنون بأن الأَمْرَا
ينال بالجهل وقيت الشرَّا
تعلموا ثم اعملوا لله
ذاك طريق الكُبَرَا والله
لا تضربن بحديد بارد
إياك إياك من التحاقد

وقال أيضا :

ألا يا رسول الله كِلّي وجملتي
فإني في هذا الزمان غريب
أعاني حرارات الفؤاد لتنطقي
وقد زاد من ضيق الزمان لهيب
ولولا تمني الموت من فيك منعه
تمنيته إني إليه أتوب
زمان أناس في إماتة سنة
تمالوا وبث العلم فيه عيوب
دعاوى هي العلم المؤكد عندهم
ومنتسب للغير فهو لعوب
تفاضل طرق والجدال حديثهم
كما قال زروق جزاه مجيب

زمان بكى من قبله كبراؤنا
جنيد كذا الجيلي فحقّ نحيب
وقد فرقوا دين النبي شفيعنا
كأن لم يجئ نهي لذاك عجيب
وقد جعلوا العلم المكرم حاجبا
فقلت عن الجهل القبيح حجيب
وكم باطن يوم القيامة باطل
إذا لم يوافق ما أتاه حبيب
فإني رأيت البيض والسود كلهم
تداعوا لترك العلم ذاك مخيب

وبالرجوع إلى تأليفه القيم (كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين)، نجده يقول :

قلت : ومن أعظم المصيبة في هذا الزمان ظهور المتشيخيين الذين لم يبلغوا درجة العوام فإنه على الشيخ كما في روح الأرواح أن ينبه المريد على أن تعظيم كل المشائخ المحققين واجب واحترام المسلمين فرض، وأن من حقر طريقة غيره فقد حقر الإسلام وربَّما جرَّه ذلك إلى الكفر وهو لا يشعر فإنه يستحل الغيبة والحقد وتفريق المؤمنين ، فنعوذ بالله من الغرور ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وإذا تقرر في الفقه أنه يحدث للناس أقضية حسب ما أحدثوا من الفجور فأقول:

إن الواجب على مسلم ترك كل شيخ يؤدي إلى الحقد والحسد والكبر أو إلى التفريق بين المؤمنين ويرجع إلى الحق ويتبع الشرع ، ويحب كل مسلم ويكره كل كافر ، ويعظم كل طريقة وافقت الشرع ، ويحضر مجالس العلم وإن منعه شيخه لغلبة الجهل .

وفي شرح (تائية السلوك) لسيدنا الشرنوبي: فاعلم أنه لا يصلح للإرشاد إلا من كان على علم يهدي به العباد .

فإذا مرض مريده بسبب شبهة داواه أو تحير في مسألة من مسائل الفقه أفتاه من قناعة تورثه الغنى عن الناس .

إذا لم يكن في الشيخ خمس فوائد
وإلا فدجال يقود إلى الجهل
بصير بأحكام الشريعة عارف
ويبحث في بحر الحقيقة عن أصل
يبادر للورّاد بالبشر والقرى
ويخضع للمسكين في القول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره
جدير بتمييز الحرام من الحلّ

وقال علي الخواص: ((لا يكون الرجل معدودا عندنا من أهل الطريقة حتى يكون عالما بالشريعة المطهرة مجمّلها ومفصلها ، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومن جهل حكما واحدا منها سقط من درجة الرجال)) .

وكان سيد هذه الطائفة (الجنيد) يقول:

لا يستحق الرجل أن يكون شيخا حتى يأخذ حظا من كل علم شرعي، وأن يتورع عن جميع المحارم ، وأن يزهد في الدنيا وألا يشرع في مداواة غيره إلا بعد فراغه لمداواة نفسه وأن يكون على القدم المحمدي، والمريدون على قدم السلف الصالح وما ذلك على الله بعزيز . ثم قال: وإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف فإنه من جنود الشيطان ، واعتبر أقواله وأفعاله وأحواله وزنها بميزان الشرع والطريقة ، فإن رأيت شيخا مخالفا لهما فردّه فإن كان صاحب حال وردته، فما عليك من ردّه بحكم الشرع ولا تتخذه شيخا ولا مرشدا .

فقلت :فانظر إلى ما صار إليه الأمر اليوم فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي روح الأرواح أيضا ما نصه : ((فعلى من ابتلي بالمشيخة النظر في أحوال نفسه ، فإن علم من نفسه الاتصاف بالعلم والعمل كما بينا دعا من أحبه من المسلمين ونصح له ، وإن لم يكن عالما ولا عاملا وجب عليه تحصيل العلم والعمل ، وترك المشيخة ليسلم من وبالها يوم القيامة فإن الفاسق والجاهل بعيدان من الله فكيف يقربان غيرهما إليه)) .

أيها القراء الأعزاء :

يمكننا أن نلخص من هذه النصوص أن مولانا الشيخ الحاج مالك سي كان يرى أن أي تجديد أو إصلاح لا يتم إلا في إطار الرجوع إلى جوهر الشريعة الإسلامية السمحة والابتعاد عن الممارسات التي تملأ الساحة الإسلامية باسم التصوف والفناء .

ولقد سئل العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجاني هل تخالف الحقيقة الشريعة؟ فأجاب: ((من اعتقد أن الحقيقة تتنافى مع الشريعة فهو كافر لا يعرف الإسلام ، لأنه اعتقد أن ما جاء به النبي وعلمه الناس هو غير ما في الحقيقة الواقعة عند الله عز وجل ، وليس هناك كفر أقبح من ذلك ، ومن عبد الله وهذه بدايته

فبداية سيره كفر فلن يزداد إلا كفرا)) أعاذنا الله من ذلك .

وفي تحفة السالكين للسيد محمد السمنودي : ولا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة إلا إثبات الأعمال المبينة ببيان صاحب الشرع ، فإن كل طريقة تخالف الشريعة باطلة وكل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة .

ويواصل قائلا :

((ثم اعلموا لا خيب الله رجائنا ورجاءكم ، وقهر لنا أعداءنا وأعداءكم أن من الأمراض التي لا طبيب لها الأكل بالدين الذي عمت به البلوى)) .

قال سيدنا الأخضري عاطفا على المحرمات: ((والأكل بالشفاعة أو بالدين)) .

قال الشارح عند ذلك المحل في عمدة البيان: قوله: ((بالدين)) كمن أظهر في نفسه التصوف فيعطي المال لأجل ذلك ويسمح له في شرائه وتشتري منه السلعة لأجل البركة، وهو فيما أظهر من نفسه على غير استقامة، وما أخذه على ذلك الوجه من المال فهو حرام)) .

قال سيدنا الجنيد: ((تعرفون بالله وتكرمون به كيف أنتم مع الله إذا خلوتم به ؟)) .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله : ((لآكلها بالدف والمزامير أهون علي من أكلها بطريق الآخرة)) .أي بالدين .

ويواصل الحديث قائلا :

ومما عمت به البلوى أيضا في هذا الزمان الرشوة التي سموها اليوم هدية وهي اليوم كما سيأتي رشوة .

إلى أن قال : ((فكل ما أتى من الأخ لأخيه على وجه الهدية والمواصلة لله من غير طمع ولا استشراف نفس فضلا عن السؤال فهو لا بأس به شريعةً وطريقةً إلى آخر كلامه)) فليراجع .

وأسأل الله أن يجعلنا من المتشبثين بأذياله الكريمة وأن ينفعنا بعلومه دنيا وأخرى إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير نعم المولى ونعم النصير .

وأختم هذه النبذة بالتبرك بهذه الأبيات التي قيلت في مديح أصحاب رسول الله راجيا من الله العلي القدير أن ينفعنا بحبهم وبحب سميي وشيخي الشيخ الحاج مالك سي عليه رضا العزيز المالك .

إن لله رجالا عظما
أيّدوا الدين ونالوا الكرما
شيدوا أركانه حتى سمت
وعلت فوق السماء عظما
بذلوا أنفسهم في نصره
ورضوا بالله ربّا منْعِمَا
جاهدوا في الله حق جهاده
ورضوا الإسلام دينا قيّما
وعلت في الله أنفسهم على
بيعة المختار حازوا نعما

فلله الحمد والشكر وله الفضل والمنة على ما أسدى من النعم الظاهرة والباطنة وصلى الله وسلّم على مولانا رسول الله سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وخلفائه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم
الشيخ الحاج مالك سي بن الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ بمدينة تواوون المحروسة

قمر يلتاح في وسط الندى

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة دالية في منهج العارف بالله الشيخ الحاج مالك التربوي والتعليمي والصوفي

سرى لكيان الدين روح التجدد ... ودار على الأرواح صرف التودد
وسارت معاني الشوق كالراح تبتغي ... فؤاد المعاني أو كجمر بمفأد
وهاجت رياح البشر والفتح والهنا ... تنيل قلوب العاشقين بموجد
لذكرى ولي الله ذي المجد والعلى ... مجدد ركن الدين دون تأود
عظيم الجدى هامي الفدا واسع العطا ... سليل الرضى النامي لأكرم محتد
كريم السجايا والطباع دنيسة ... يفيض على الجلاس أعذب مورد
عزيز المرامي لا يضاهي حماسة ... لذا الدين وقاف له عند مرصد
جليل المعاني والمحيا كأنه ... سنا قمر يلتاح في وسط الندى
فذاك بن عثمان الذي عاش طيبا ... ومات حميدا سائرا نحو أرشد
فذاك الذي أمضى الحياة مجاهدا ... بإصلاح ما في العصر من كل مفسد
فذاك الذي قاد الآنام مربيا ... حكيما سياسيا بأسلف مقود
فكان بذا دنياه تخدم دينه ... وترفع شأن العلم في كل معهد
ولم يوقف الإصدار يوما ولم يكن ... مطبقه يرضى به قلب مفتد
أتم به الرحمان تكوين قادة ... وتدريب عمال وتثقيف زهد
وتهذيب عباد ونشر معارف ... وتأهيل رواد وتعليم ورد
وتربية الأرواح ترقية لها ... وفتح الزوايا مسجدا تلو مسجد
وإعلاء ذكر الله في الصبح والمسا ... وحفظ كتاب الله بله التعهد
وجعل حياة البدر خير سلوكنا ... بها نستقي أنماط خير ونجتدي
ألا عظموا ليل الولادة حسبة ... مقالة شهم أريحي مسود
وفي حلبة التعليم ضمر طرفه ... يبين أن العلم أشرف مصعد
وفي انجارد قل بل في تواوون بعدها ... بنا بيت مجد خالد متوطد
مدارسه في العلم خير مدارس ... وأوراده قول الشريف الممجد
ثلاثة أشيا لا أحاول غيرها ... سوى مكسب في الحل من عمل اليد
وللحاكم العام الفرنسي قال ذا ... ألا فاتركوا ديني وعلمي ومورد
هنيئا بهذا الاحتفال لأمة ... ينادى بها فخرا أأمة أحمد
عليه صلاة الله ما ذر شارق ... كذا الآل والأصحاب مع كل مقتد

بقلم/ الشيخ مود مالك عبد العزيز الدباغ سي

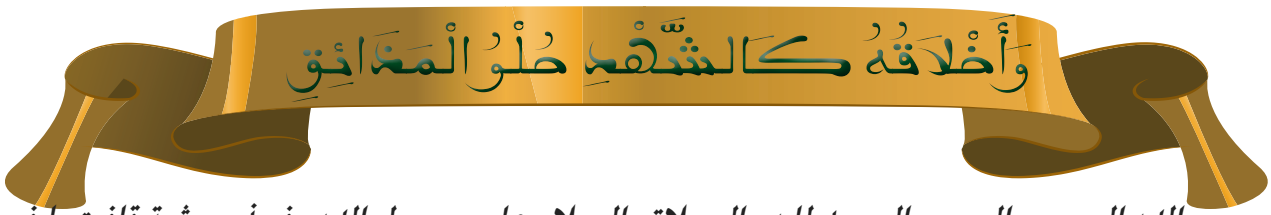

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فهذه مرثية قافيتها في بحر الطويل، رثى بها العبد الضعيف، الراجي رحمة ربه اللطيف، محمد المنير بن الشيخ الحاج عمر انغران، لفقيد الدين والوطن، الشيخ عبد العزيز سى الخليفة العام للطريقة التجانية، أمين الأمة الإسلامية، ووارث سر أبيه، شقيق الفقيد المتوفى بعد مضي ستة أشهر، ألحقهما الله ببرزخ القطب المكتوم شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنهم أجمعين.

عَرَانِيَ حُزْنُ الْقَلْبِ لِلرِّسْلِ فَارِقِي ... لفَرْطِ أَلِيمٍ بِالْمُفَجَّعِ حَارِقِي
كَأَنِّي بِلَيْلِ التَّمِّ بِتُّ مُسَهَّدًا ... وَمُنْعَزِلاً عَنْ كُلِّ حِبٍّ وَرَافِقِ
وَلَسْتُ عَلَى كَفِّ الدُّمُوعِ بِقَادِرٍ ... تَصُبُّ كَمُزْنٍ هَاطِلٍ مُتَدَافِقِ
لِفَقْدِ صَمِيمٍ بَاسِلٍ مُتَدَيِّنٍ ... أَمِينٍ لَدَى الْبُلْدَانِ بِالْوَعْدِ صَادِقِ
رَزِينٍ عَطُوفٍ عَالِمٍ مُتَوَرِّعٍ ... صَفِيِّ أَبِيِّ الْبُطْلِ بِالْخَيْرِ سَابِقِ
فَتًى هَمُّهُ مُذْ كَانَ قَفْوُ شَرِيعَةٍ ... كَذَا السُّنَّةُ الْغَرَّاءُ مُبْدِي الْخَوَارِقِ
فَتًى هَمُّهُ مُذْ كَانَ إِرْشَادُ ضَالَّةٍ ... وَيَحْمِي طَرِيقَ الْحَقِّ عَنْ كُلِّ عَائِقِ
فَتًى هَمُّهُ مُذْ كَانَ إِصْلَاحُ فَاسِدٍ ... وَأَخْلَاقُهُ كَالشَّهْدِ حُلْوُ الْمَذَائِقِ
وَلَمْ يَعْرِفِ التَّسْوِيفَ فِي أَمْرِ دِينِهِ ... وَلَا مُتَوَانٍ عَنْ أُمُورِ الطَّرَائِقِ
فَمَا زَالَ يَقْضِي لِلْأَنَامِ حَوَائِجًا ... يَقُودُهُمُ لِلْمَنْهَجِ الْمُتَوَافِقِ
يُوَاسِي ذَوِي الْفَاقَاتِ يَحْمِلُ كَلَّهُمْ ... وَيَكْلَأُهُمْ عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَطَارِقِ
وَلَيْسَ لَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ هِمَّةٌ ... سِوَى قَفْوِ آثَارِ الْجُدُودِ الرَّوَائِقِ
وَأَسَّسَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ دَعَائِمًا ... وَلَمْ يَعْشُ عَنْهَا غَيْرُ قَلْبِ الْمُنَافِقِ
لَقَدْ عَاشَ (مُلْكًا) رَاغِبًا عَنْ دَنِيَّةٍ ... يُرَاعِي حُدُودَاتِ الْمُهَيْمِنِ خَالِقِي
وَأُشْهِدُ رَبِّي اللهَ أَنِّيَ عَاشِقٌ ... بِحَضْرَتِكُمْ أَسْمُو عَلَى كُلِّ عَاشِقِ
أَيَا رَبِّ ذَا الْغُفْرَانِ وَالْعَفْوِ فَاغْفِرَنْ ... لِعَبْدٍ عَزِيزِ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَاثِقِ
وَجَازَيْتَهُ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ خَيْرَ مَا ... تُجَازِي بِهِ الْأَشْرَافَ رَبَّ الْخَلَائِقِ
تُخَصِّصُهُ فِي بَرْزَخِ الْخَتْمِ مَنْزِلاً ... وَمَكْرُمَةً يَعْلُو عَلَى كُلِّ فَائِقِ
صَلَاةُ إِلَهِي تَزْدَرِي الْمِسْكَ وَالشَّذَى ... عَلَى السَّيِّدِ الْمَحْمُودِ سِرِّ الْحَقَائِقِ
وَعِتْرَتِهِ وَالصَّحْبِ وَالْأَهْلِ مَا شَدَتْ ... قُمَيْرِيَّةٌ فَوْقَ الْغُصُونِ الشَّوَاهِقِ

انتهت

شاهد من أهله

ما بين دقات القلب ونبضاته، وخلجات النفس وإشراقات الروح، ونظرات العين وهمسات الأذن، يجد الإنسان نفسه، تارة أمام رموز وإشارات ودلالات، يحاول أن يصوغ منها ما يعبر به، عما يكن في قلبه، ويختلج في نفسه، من المشاعر والأحاسيس، التي لا يستطيع مهما أوتي من قوة البيان وفصاحة اللسان وفصل الخطاب.

وذلك، فعلا ما عراني وأنا أقف موقف من يريد استعراض مشوار حياة أحد جهابذة الأمة الإسلامية وأعلامها البارزين، وأعني به مولانا الطود الشامخ ، والعلم الراسخ عماد الأمة وصخرتها الراسية ؛ الشيخ عبد العزيز سي الأمين؛ الخليفة العام للطريقة التجانية رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين.

وهل من الممكن أن يقبر جهبذ، وشخصية متكاملة، وعيلم ترعرع في كنف وحضن والده؛ العارف بالله مولانا الشيخ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي لمس فيه منذ نعومة أظفاره، ملامح النباهة والصدق والأمانة والبراعة، فقربه إلى نفسه، وجعله أمين سره، وعضده الأيمن، الذي شهد له الجميع بعلو المقام وعزة النفس، وانشراح الصدر، والتفاني في نشر رسالة الإسلام، دين السماحة والوسطية والعدل، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال القائم، على أسس ودعائم الحوار الجاد المقنع، والهادف إلى ترسيخ مبادئ السلم الاجتماعي والوحدة الوطنية والأمن العام لكافة الطبقات الاجتماعية.

إنه الجهبذ، الذي لم يألل جهدا في الدعوة دائما إلى مجاوزة الخلافات الهامشية والفوارق الطبقية السائدة في نفوس الناس، وتكوين اتحادات وجمعيات إسلامية ذوات نشاطات متعددة في محاربة الجهل والأمية ومحاربة الفساد والاستبداد، انسجاما مع كل ما تدعو إليه مهمة تغيير المسار التاريخي المنحرف نحو غد مشرق أفضل.

ولا شك، أن التاريخ يسجل له في أنصع صفحاته مواقفه البطولية في فجر استقلال بلاده، كشهم مغوار مكافح خاض كل المعارك الحيوية لفائدة الشعب السنغالي الباسل.

الشيء الذي جعل منه الناطق الرسمي باسم جمعيات ومراكز وحركات الدعوة الإسلامية على اختلاف فروعها ومؤسساتها الدينية والاجتماعية والثقافية والعلمية، التي لعبت أدوارا بارزة في بناء دعائم الدولة وهياكلها وقياداتها.

فكيف يتسنى ذلك؟ وهو صاحب الأدوار البارزة والمشاركات الرائدة في كل منحى من مناحي الحياة الخاصة والعامة، الذي فطرهل الله سبحانه وتعالى على حب الخير والفداء، والبذل والعطاء، والجهاد المستمر المتواصل، في سبيل تقدم وطنه المحبوب، ودفع عجلة التنمية الشاملة، إن في مجال التعليم والتربية الوطنية أو في مجال ترسيخ القيم الروحية والفضائل الإنسانية في نفوس الناشئة.

فقيمة كل امرئ، تقدر على قدر ما يقدمه في نفع الغير، من العمل المجرد والإحسان إلى الناس، مهما كلفه ذلك من ثمن.

وهذا ما فهمه فقيدنا الغالي، الذي ظل طول حياته يعطى، ولا يأخذ، يسهم بجسده وروحه وقلبه وقالبه، فيما ينفع الإنسانية ويرفع مقامها ويجمع ولا يفرق، ويتغنى بأهازيج الإيمان بالله عز وجل، وإخلاص العبودية والولاء لله رب العالمين، وأهازيج للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وترديد الولاء للجناب الأحمدي التجاني الفاطمي السامي، وجميع خلفائه الكرام الأبرار، الذين واصلوا المسيرة المظفرة، لحل بعض من معادلات الحياة الإنسانية المعقدة وأسرارها المجهولة.

وكان من جملة معاونيه في تلك الحقبة الزمنية، الذين وقفوا بجانبه لمؤازرته السادة الكرام؛ الحاج

محمد المختار جينغ الإمام، والسيد الشيخ محمد البشير لي نجل الشيخ ابن العربي لي، وغيرهما من الأساتذة الذين تركوا بصمات واضحة، في ساحة الدعوة الإسلامية وخصوصا في تلك الفترة الصعبة من تاريخ بلادنا المجيد، حيث كانت مخلفات الاستعمار الفرنسي الغاشم مرتسمة في كل خلية ونسيج ، من خلايا وأنسجة الدولة الفتية التي عانت ما عانت من الضمور والجمود والتخلف الفكري، الذي شمل البنى التحتية والفوقية.

نعم كان فقيدنا الغالي الصخرة الراسية، والمناضل الوفي، الذي عايش هذه الأحداث برزانة عقله، وخبرته الواسعة وحنكته الفائقة، ودرايته ومقدرته في مواجهة التحديات التي كانت، وما زالت تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية في كافة الأوساط والمناطق المختلفة.

ولقد لمسنا في شخصه الكريم الورع والعفاف، وغنى النفس وعلو الهمة والإيمان الفولاذي، والرزانة والاستماتة في الدفاع عن الثوابت الدينية والعقدية والخلقية والفكرية، وترسيخها في نفوس الناس وصقل عقول الناشئة وتنويرها ودحض كل الشبهات الباطلة المشارة حول التشريع الإسلامي ، والتصوف السني الصحيح.

نعم لمسنا فيه السخاء، وكرم النفس والمبالغة في إكرام الذين يشدون الرحال إلى بابه الواسع المفتوح، للقريب والغريب، ومسح دموع البائسين والصبر على أذاهم، والإغضاء عن هفواتهم.

لمسنا فيه شفافية الروح، وحب أهله وذويه وإخوته، والسهر التام على مراعاة حقوقهم، وإدخال السرور في قلوبهم، وحثهم على التمسك بتراث سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

لمسنا فيه قوة التحمل والصبر والعزيمة، والثبابت على الحق والاستقامة.

وباختصار، يمكن القول بأن المنزلة الرفيعة والمكانة السامية التي حظي بها في قلوب الناس داخل البلاد وخارجها كانت نتيجة شمائله وخصاله الفريدة، التي كانت تظهر في كل تصرفات من تصرفاته، وفي كل خطوة من خطوات حياته المباركة الحافلة بالأمجاد والإنجازات في كافة الميادين.

وأذكر على سبيل لا الحصر، المجهودات المبذولة في سبيل تكوين وتأطير وتوعية الشباب، ما نتج عنه من إنشاء معهد إسلامي للدراسة الإسلامية بمدينة تواوون المحروسة، ويحمل اسم جدنا المجاهد مولانا الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه.

وأما نشاطاته العلمية، والثقافية والاجتماعية، فقد جازوت حدود البلاد، حيث له علاقات، وروابط وثيقة مع كثير من العطاءات العلمية والأكاديميات المختلفة، في كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي.

فكم شارك في فعاليات المؤتمرات، والندوات واللقاءات، المنعقدة في الخارج، إن في المملكة العربية السعودية، حيث عمل عضوا نشطا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، كما كان عضوا في جمعية الدعوة الإسلامية بالجمهورية العربية الليبية، وعضوا بارزا في مؤسسة علماء المغرب والسنغال، ومشاركا في كافة الندوات والمحاضرات الصوفية، التي احتضنتها المملكة المغربية الشقيقة.

كانت علاقاته بجميع المرجعيات الروحية والقيادات الدينية داخل البلاد وخارجها متميزة، لما كان يتمتع به من الكفاءات العلمية والثقافية، والاستيعاب التي لجميع القضايا الساخنة والتيارات الفكرية التي يعيشها العالم العربي والإسلامي، والمجتمع الدولي بصفة عامة.

ولم يكن ليداهن أو يراوغ مع الانتهازيين، الذين يعيشون في عالم تداس فيه العقائد والمقدسات، عالم يطغى فيه التحكم والتسلط على أهل الحق العارفين بالله، بل كان البطل الباسل، الذي يوقف بجرأة جموح كل من طغى وتجبر، وعلا وتمرد.

جزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرا، وقدس سره، وأسكنه فسيح جناته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء ، وحسن أولئك رفيقا بجوار الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم.

وختاما أسرد هذه الأبيات الشعرية التي قيلت في مناسبة كهذه :

سألت الندى والجود ما لي أراكما
تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متتما بعد موته
وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزي بفقده
مسافة يوم ثم نتلوه في غد

بقلم/ الشيخ مود مالك عبد العزيز الدباغ سي

بقلم/الأستاذ مصطفى سي مدير

الشيخ عبد العزيز سي الأمين فقيد البناء والتّعمير

كان خبر وفاة الشّيخ عبد العزيز سي الأمين، الخليفة العام للطّريقة التّيجانية ليلة الجمعة الفاتح من المحرم 1439 فاجعةً كبرى هزت البلاد من أقصاها إلى أدناها بمختلف مستوياتها وأطيافها وشرائحها، وقد كان الشيخ الراحل معلمة دينية وموجها اجتماعيا ومربيا للأجيال الصاعدة، كان ذا وعي للواقع ودراية للدين، فحياته بعبارة أخرى كانت ترجمة لمقتضيات قوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).

فالشيخ عبد العزيز سي الأمين عند الحديث عنه لا يكاد المرء يعرف من أين يبدأ وإلى أين ينتهي وماذا يقول عنه؟ وماذا يترك منه؟، فهو محيط يصعب وصفه وكل يصعب تجزئته، غير أننا في هذه السطور نود أن نشير إلى بعض إنجازاته في إنشاء وترسيخ دعائم المنظمات الإسلامية، والجمعيات والمراكز التربوية والتعليمية، فله بصمات راسخة ودور فعال في إنشاء وتنشيط العديد من المنظمات والهيئات والتجمعات الإسلامية والتربوية والتعليمية في السنغال منذ فترة ما قبل استقلال البلاد وما رافق تلك الفترة من حركات شبابية تدعو للاستقلال وحرية الإرادة والقرار في مختلف الدول المستعمرة من قبل فرنسا.

فكان المطلب الأساسي والشعار المرفوع على أرض المنطقة هو (ملكية البلاد) (مُومْ سَريوْ)، وقد بلغت هذه المطالب أوجّها خلال فترة ما بين الأربعينات إلى أواخر الخمسينات وفي الوقت نفسه كان المشايخ في مختلف البيوتات الدينية يؤدون دورا مهما في نشر التعليم الديني في المحاضر العلمية والزوايا الصوفية، تلك الزوايا التي ظلت تتعرض لاتهامات بأنها أجهزة لاستغلال المواطنين، وعلى هذه الوتيرة من الهجوم و الدفاع والأخذ والرد، ولدت جمعيات بعضها تهاجم الصوفية وبعضها تدافع عنها وكان الصراع بين التشكيلتين مريرا جدا فترة ما بين 1953 إلى 1958 ثم بدأت بادرة التقارب والتفاهم تلوح في الأوساط فكونت لجنة التنسيق للجمعيات الثقافية الإسلامية وكان للشيخ عبد العزيز سي الأمين، نصيب الأسد في نشأة هذه الجمعية والتي كانت تسمى لجنة التنسيق للجمعيات الثقافية والإسلامية في تياس ثم تحولت مع الأيام إلى لجنة التنسيق للجمعيات الإسلامية في السنغال وفي هذه الفترة ولدت أولى جمعية إسلامية في السنغال وهي الاتحاد الثقافي الإسلامي الذي أسس يوم الثاني عشر من أكتوبر عام 1953 وكان أول رئيس لها الشيخ صالح كانجي و لم يمكث طويلا على رأس الجمعية حيث خلفه الأستاذ شيخ توري، و قد شهدت هذه الفترة حالة تأزم شديد بين أنصار البيوتات الدينية وأولئك الذين رجعوا من بعض الدول العربية وبالأخص

تلك التي تعارض التصوف، فقام شباب البيوتات الدينية، فأسسوا جمعيات ثقافية إسلامية لإظهار ما ورثوه من آبائهم وأجدادهم من التعاليم الإسلامية الصحيحة المبنية على أساس القرآن والسنة. في هذه الآونة تكونت:

1 / هيئة مدرسي اللغة العربية برئاسة الحاج مصطفى سيسى وعمر جاه في عام 1955.

2 / الجمعية الثقافية الإسلامية بإيحاء السيد الشيخ أحمد التجاني سي في تواون عام 1957 برئاسة الشيخ عبد العزيز سي الأمين.

3 / وتتابعت الجمعيات، في جوربل، الاتحاد التقدمي الإسلامي في جوربل.

4 / جمعية أنصار الدين في كولاك.

5 / جمعية التعاضد الإسلامي — في دكار — (في دار الإمام الأكبر).

لما وصل عدد الجمعيات إلى 14 جمعية، برزت فكرة توحيد الصفوف، بعد محاولات كثيرة للتقارب المفاهيم والأفكار، نظرا لأن هدفهم جميعا واحد، وهو نشر الإسلام على أصح الأوجه في البلاد.

وفي فترة ما قبل الاستقلال، لما لاحظت السلطات الفرنسية أن شوكة الشريحة المثقفة بالعربية بدأت تقوى يوما فيوما ، بسبب ما تنتجه الزعامات الدينية لا سيما الزوايا الأساسية مثل تواون، وطوبى (جوربيل) وكاولاخ ولايين ودكار ، من أطر مثقفة ، توجست السلطات، وخافت، وانزعجت من هذا التيار العلمي الناشئ، فوضعت عقبات وشروطا تعجيزية أمام التعليم العربي الإسلامي في البلاد، و من ذلك منع استخدام السبورة والطاولة والمقاعد عند تعليم الأولاد ، وكذلك منع تعليم مادة اللغة العربية عند مزاولة التعليم الديني، غير أن هذا القرار كان مرفوضا بحروفه ، وكلماته، وجمله، لدى معلمي اللغة العربية، والسواد الأعظم من أتباع البيوتات الدينية، فلجأ الاستعمار إلى استدعاء واستجواب رؤساء الجمعيات الرافضة لهذا التخطيط الاستعماري، وعلى مقدمتهم الشيخ عبد العزيز سي الأمين، والشيخ مصطفى سيسي، والشيخ الحاج عمر جا، وكانوا يقضون ساعات بل يوما بأكمله أمام مقر الشرطة المركزية ليردوا على أسئلة ما المسؤول عنها بأعلم من السائل: لماذا التعليم العربي في السنغال والبلد غير عربي ؟ أين أخذتم البرامج والمناهج التعليمية؟ ما صلتكم بالخارج؟ ما مصير الطلاب بعد تخرجهم؟ ومن جراء ذلك تم قفل عدد من المدارس، هنالك قام الشيخ عبد العزيز سي الأمين ومن معه، بجولة تنويرية لدى الزعامات الدينية لتبيان مخاطر هذه المساعي الاستعمارية.

و في عام 1963 ، قام الطلاب السنغاليون في المغرب باعتصام رافقته أعمال شغب في سفارة السنغال بالمملكة المغربية حيث بددوا وكسروا وخربوا السفارة، فتدخلت السلطات الأمنية وألقت القبض عليهم ثم رحلتهم إلى السنغال و كان عددهم ستة وسبعين طالبا (76)، وفور الوصول إلى المطار حيث استقبلهم الشيخ عبد العزيز سي والشيخ مصطفى سيسي، تم ترحيلهم فورا إلى معتقل (الشرطة المركزية) بدكار، ثم إلى المحكمة، ثم إلى السجن ثم إلى القصر الجمهوري لمقابلة الرئيس سنغور بطلب ومبادرة من الشيخ عبد العزيز سي الأمين ومن بين الطلاب الذين حضروا في هذه المقابلة الشيخ مرشد أحمد عيان تيام الرئيس الحالي للمجلس الإسلامي الأعلى بالسنغال، هنالك قام الشيخ عبد العزيز سي الأمين بمساع جادة حيث أظمأ نهاره وأسهر ليله، هو ومن معه في ذلك، وقد نتج من هذه المقابلة التاريخية ما يلي :

أن هؤلاء الطلاب من الزعامات الدينية وأن حبسهم يعني حبس أولئك المشايخ أنفسهم

صدور قرار لتكوين لجنة تعتني بمنح طلاب اللغة العربية،

إرجاع الطلبة إلى المغرب فورا، مع تعويضهم لما فات من المنح المالية،

وكان رئيس الجمهوري لووپول سدار سنغور ينظر بعين السوء إلى الطلاب السنغاليين الدارسين في مصر نسبة لخوفه من أفكار الرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر، وبإيضاحات الشيخ عبد العزيز سي الأمين تبين للرئيس سنغور أن تخوفاته مجرد أوهام وأن هؤلاء الطلاب لا يمكن أن يرجعوا بأفكار هدامة، بل إن مثلهم كمثل سائر الطلاب في الدول الأخرى .وكان الطلاب السنغاليون بالقاهرة يراسلون الشيخ عبد العزيز سي الأمين عن طريق رئيسهم في مصر آنذاك وهو المرحوم حمزة جا، بحكم كون الشيخ عبد العزيز سي زعيما دينيا ورئيس اتحاد الجمعيات الثقافية الإسلامية حيث

كان يبلغ مطالب الطلبة إلى السلطات السنغالية لتحلها وقد كان موفقا في ذلك ، كما أدى دور تقريب المفاهيم بين الطرفين. ولما قامت فكرة إنشاء اتحاد عام لطلاب السنغاليين في العالم العربي، استحسن الشيخ عبد العزيز هذه الفكرة ووقف معهم في تنفيذها كما نصحهم أن يراسلوا رئيس الجمهورية لسماحهم بعقد هذا المؤتمر بل أن يتحمل تكاليفه، غير أن سنغور أول الأمر؛ كان قد رفض هذا الطلب برمته فاعتبر أنه خطر على خطر وأن ذلك قد يؤدي إلى أعمال شغب ضد الحكومة ، فقام الشيخ عبد العزيز سي بالوساطة إلى أن قبل الرئيس انعقاد المؤتمر بشرط أن يكون الشيخ عبد العزيز سي ومن معه مسؤولين عن كل ما قد يحدث قبل خلال أو بعد المؤتمر من أعمال شغب، وفعلا انعقد هذا المؤتمر التاريخي بدكار 27/05/1963، وهكذا ظل الشيخ مشمرا عن ساعد الجد، من أجل الدفاع عن التعليم الديني العربي في السنغال، وما أكثر المرات التي قابل فيها الشيخ عبد العزيز سي والشيخ مصطفى سيسي رئيس الجمهورية بهذا الخصوص، وأنا شاهد عيان في هذه اللقاءات.

وللشيخ عبد العزيز سي مساع مقدرة، في تمكين دعائم التعليم العربي والديني في المدارس العمومية، حيث ساند الحركات النقابية الناشطة في هذا المجال، وبحكمي الكاتب الإداري لنقابة معلمي اللغة العربية لمدة عشرين سنة فقد كنا نلاقي عدة عراقيل وعقبات وكان الشيخ عبد العزيز سي يد عون ووجاء لا غنى عنه، وقد ظل الشيخ عبد العزيز سي يطمئن السلطات تجاه التعليم العربي الإسلامي داخل وخارج البلاد ، وقد أنتجت هذه المساعي بعد أخذ وردٍّ نتائج كثيرة لصالح التعليم العربي الإسلامي، حيث تم ابتعاث عدد من الطلاب إلى المغرب، وتونس، والجزائر، ومصر، والسعودية.

وكثير منهم لما رجعوا أصبحوا موظفين في الوظائف العمومية؛ بعضهم سفراء لدى البلدان العربية مثل الشيخ مصطفى سيسى، والشيخ صالح امبكي، والشيخ بوبكر سي، والشيخ أحمد عيان تيام، عمل في عدة سفارات والأستاذ إسماعيل ديم والسلسلة أطول من هذه المقالة. وبعضهم أساتذة مثل: الأستاذ حمزة جاه، ساجو سيسى، عبد الله باه، د. تيرنو كاه الحبيب، د. خادم امبكي؛ بابكر صمب، عددهم يعجز القلم. وعلى المستوى الأسري كان الشيخ عبد العزيز سي منذ قبل وفاة والده اليد المحركة للدوائر التيجانية مثل دائرة الكرام، فكان يحضر الاحتفالات ويزور ويستقبل وينصح ويوجه.

وله بصمات كذلك في مجال الإعلام، حيث كان المشرف على جريدة الإفريقية المسلمة، التي كانت تصدر باللغة العربية، ثم بالعربية والفرنسية مؤخرا، وقناة بيان إف إم في مدينة تواوون كانت بمبادرته وتحت إشرافه، كما أن له مساع جبارة في جمع ونشر وتوزيع ما تذخر به الحضرة المالكية من عطاء علمي، فقد جمع ذلك على شكل موسوعة، ومن آخر ما أصدره الشيخ عبد العزيز من العطاء العلمي كتابه (الفياض)، كما خلّف ما ينيف على مائة محاضرات، ومخطوطات قد تبرز، وتنشر لاحقا إن شاء الله بإذن زعماء الأسرة.

وحسبُ الشيخ عبد العزيز سي إنجازا الدور الريادي الذي أداه في اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال من النشأة عام 1962 إلى حين ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، ويعتبر هذا الاتحاد أحد دعائم التعليم العربي الإسلامي في السنغال فترة ما بعد استقلال البلاد. ويتكون من عشرات الجمعيات التي تنشط في مجال التربية والتعليم أو الدعوة عموما. وقد كان الاتحاد مستشار الدولة في أمور البلاد وفي مجال التعليم، وكل ما يخص الإسلام ولغته، ولقد ظل الاتحاد تحت القيادة الحكيمة للشيخ عبد العزيز سي، يؤدي دورا توعويا واسع النطاق في البلاد، و يرجع فضل ميلاد العديد من المؤسسات التربوية التعليمية إلى مساعي الشيخ عبد العزيز سي، حيث قام موفقا بتزكية منشئيها برسائل إلى جهات التمويل وما شاكل ذلك؛ مثل مدارس الأزهر للشيخ مرتضى امبكي، والحنفية في لوغا للشيخ عباس صال، ومنار الهدى للشيخ الأستاذ أحمد لو في لوغا كذلك. والجامعة الإسلامية في مدينة پر حيث صدر الاقتراح مني في مؤتمر دولي انعقد في مدينة قبرص حيث نلت شرف تمثيل الشيخ عبد العزيز فيه، ثم طلب الشيخ الحاج مصطفى سيسي أن يكون مقر هذه الجامعة مدينة پر وعلى الصعيد العلمي كان الاتحاد ينظم حلقات التفسير خلال شهر رمضان المبارك، ففي دكار كان يقودها الحاج مختار جنغ، وفي رفسك الحاج عمر جا، وفي پكين الحاج عمر سي، وفي تياس الحاج انچاس امپي، والحاج خليفة كبي، والحاج حسين جيتي والحاج امبر كبي وغيرهم ، وفي تواون الحاج منصور جوف، ثم الأستاذ حسين جين والشيخ أحمد تجان واد حاليا، وفي مخي الأستاذ جانج، وفي لوغا الحاج محمد مجيب جوب، والإمام صالح ديم حاليا و في

سانت لوي الحاج عمر جالو والشيخ أحمد تجان جالو حاليا، وفي داغانا كان ممثل الاتحاد سعيد جاك، الذي هو بدوره كان يُعين القائمين بهذه المهمة، وفي زغينشور الإمام علي حيدر، والإمام الحاج صمب انجاي، و في جربيل في منزل الحاج الشيخ كانجي كانت تتم هذه الأنشطة، و في لنغير الإمام عبد العزيز لكور، كما كان للاتحاد برنامج إذاعي في الإذاعة الوطنية وهو (صوت الإسلام) وكان من مقدميه الحاج مصطفى غي والحاج أحمد سانخي والحاج عثمان صار. وكان الاتحاد ينظم عدة محاضرات في مختلف ربوع البلاد، بجانب ندوات دولية مثل تلك التي كانت بعنوان الإسلام والزنوجة عام 1972 وأخرى عام 1985 بعنوان (الإسلام والتحديات المعاصرة)، وكان يتم ذلك بحضور جموع ووفود من مختلف العالم وكان يشارك فيها جهابذة، وأعلام، أمثال الشيخ أحمد التيجاني سي. وقد انفتحت أبواب المدرسة العليا للإدارة أمام الدارسين بالعربية بفضل مساعي الاتحاد وبقيادة الشيخ عبد العزيز سي، كما نتج من هذه المساعي المهمة انفتاح فرص الانخراط في الوظائف العمومية بالنسبة للمستعربين، والمشاركة ضمن أعضاء بعثات الحج، والإشراف عليها.

ونرجع إلى الوراء قليلا ونقول: بعد ميلاد الاتحاد يوم 2 أكتوبر 1962 ، بعضوية 14 جمعية؛ من بين الكيانات الأكثر نشاطا مثل الاتحاد الثقافي الإسلامي والجمعية الثقافية الإسلامية، وهيئة مدرسي اللغة العربية ، تم تنظيم أول امتحان للشهادة الابتدائية عام 1966 وكان ذلك تحت ظروف صعبة لأن الحكومة لم تقف معه في تحصيل المتطلبات ، وتذليل العقبات ، وقد بذل الشيخ عبد العزيز سي كل غال ونفيس من أجل الحصول على الترخيص ، فتحقق له ذلك فأصبح الاتحاد حرا في تنظيم الامتحانات لطلابه، وقد بلغت جملة الشهادات التي حررها الاتحاد فترة ما بين 1983 و2017 قرابة 44818 شهادة ابتدائية و 20379 شهادة إعدادية و5645 شهادة ثانوية وكان وزير التربية و التعليم في بداية هذه التجربة ،البرفسور أحمد مختار امبو. من هنا تطرق الاتحاد إلى تقوية دعائم التعليم العربي فوضع مناهج تعليمية عصرية، على مستوى مناهج الدول العربية، وعلى غرار سائر المدارس الفرنسية العمومية في السنغال، وبعد عشر سنوات من انطلاق الشهادة الابتدائية، تمكن الاتحاد تحت قيادة الشيخ عبد العزيز سي من تنظيم الشهادة الإعدادية، وكان ذلك عام 1976، وبعد عشر سنوات أخرى نظم الاتحاد وللمرة الأولى عام 1986 امتحان الشهادة الثانوية. وبشهادات الاتحاد كان العديد من الطلاب ينخرطون في الوظائف العمومية في البلاد، أو يجدون منحا لمواصلة الدراسة في الدول العربية، بل إن الشهادة الثانوية التي أنشأتها حكومة الرئيس مكي صال كانت بمساندة من الشيخ عبد العزيز سي، حيث قام بمراسلة الرئيس نيابة عن سائر البيوتات الدينية، وكان ذلك تحت إشراف لجنة السهر للتعليم العربي الإسلامي والتي مقرها في الاتحاد بدكار، وكاتب المقال هو رئيس تلك اللجنة.

قل ولا تخف، إن كل الحركات والأنشطة والمؤسسات الإسلامية السوية داخل البلاد للشيخ عبد العزيز سي فيها بصمات إيجابية ماديا أو معنويا أو هما معا. وكان الشيخ عبد العزيز سي الأمين عُضوا في جميع المنظمات العالمية الإسلامية مثل:

1/ رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

2 / منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.

3 / المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر القاهرة.

4 / جمعية الدعوة العالمية الإسلامية بليبيا في طرابلس.

ومما تَوَّجَ مساعي الشيخ عبد العزيز سي الأمين، إنشاءه معهدا إسلاميا كبيرا في مدينة تواون.

((معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية))

وشرفني بتحميل مسؤولية المدير العام لهذا المعهد على كاهلي.

كما أنّه اتفق مع الدولة على بناء معهد شامل المرافق في مدينة تواون، ويتولى رئاسته الشيخ أبوبكر سي دباغ.

بناء على كل ما رأينا وما لم نر لضيق الأوراق، فإنه يستحق بتسميته فقيد البناء والتعمير.

هذا أيها القارئ الكريم قليل من كثير يمكن قوله عن هذا المنهل المعطاء الشيخ عبد العزيز سي الأمين، عليه رحمة الله ورضاه.

عزيز قومه
عبد العزيز

عزّ في نفس شيخ الخليفة (رض) مجيئ هذا المولود الناشئ، بملامح ذلك الوجه المشرق، وسمات تلك الطفولة الواعدة، فاستبشر به خيرا، وتفاءل برؤيته حسنا، وكان أن اختار له من بين الأسامي أحسنها وأروعها «عبد العزيز»، ولسان حاله يقول: رب كما جعلتني أفتخر تيها وعُجبا بدخولي تحت قولك يا عبادي، فاجعل وليدي هذا مقبولا عندك عبدا، وشرّفه يا عزيز، بقبوله من بين عبيدك الأعزاء، إنه لدينا لعزيز.

ولقد نشأ فتى الفتيان وترعرع، في بيت علم وأدب وخلق رفيع، وكان له من بركة النشأة وأصالة التربية، أن عاش في جنب الوالد الملهم الشيخ الخليفة، يلهم خطواته، ويرشد مشيته، ويوجه مسيرة حياته، وقد تنبأ ـ ونعم المتنبئ ـ أن سيكون لهذا الفتى دور رئيسي في مستقبل الإرث المالكي، فأعده ليكون أهلا وكفؤا لمقتضيات هذا الإرث العظيم.

وكان من أجمل ما عرف عن الشاب عبد العزيز، حسن اهتمامه بمظهره وهندامه، وجمال تأنقه في لبسه وأزيائه، وطريقة تسريحه لشعره، فكان يبدو في عيون ناظريه، شابا وسيما، بهي الطلعة أنيق المنظر، رغم مهابة الشيخ، ووقار السيد اللذين لازماه صغيرا وكبيرا.

وفي وقت كانت مدينة تواوون، مأوى أفئدة المتعطشين للعلم والمعرفة، يتوافد إليها أجناس وقبائل السنغال المختلفة من كل صوب وحدب، ينهلون العلم من ينبوعه العذب ومعينه الصافي، على يد عالمه المتجرد، الشيخ الحاج مالك سي، أو على يد الصفوة من تلامذته، الذين لم يبارهم أحد في ميدان امتلاك قصب السبق في العلم والتأليف والتعليم، إلا سبقوه فيه، قضى الفتى الناشئ طفولته في هذه المدينة.

وعاش الفتى عقده الأول والثاني، في هذه البيئة العلمية والثقافية والمعرفية، يطرب أذنيه دروس مجالسه العلمية، ويرهف سمعه أحاديث والده الوارث لسر جده والمتربع على عرش الخلافة التجانية العامة في السنغال، وكان حسن إصغائه إلى أحاديث تلك اللقاءات العلمية، وإنصاته لخطب والده وتعاليمه وإرشاداته أبلغ الأثر، في قولبة شخصيته، وتكوين علاقاته الواسعة مع شريحة كبيرة من أبناء بلده ومجتمعه، وقد هيأته تلك العلاقات في اكتساب القدرة على التعامل مع كل الوقائع والأحداث التي ستجري لاحقا في مسيرة حياته، وقد عُهِدَ عنه صغيرا الفصاحة في المنطق، فلم يعهد منه قط، الإغراب في الكلام، أو تعقيد المعاني، أو اللجوء إلى ضعف التركيب، أو تنافر الكلمات، أو التأتأة اللفظية، وقد كان لهذا العامل، أثره الكبير في توليته مهام الناطق الرسمي باسم الحضرة المالكية مستقبلا.

كان ما يتداوله طلاب حوزة جده وآبائه، من موضوعات شتى في العلوم والمعارف الإسلامية والعلوم اللغوية، يصقل لبه، ويعيد تشكيل عقله، وكان تطلعه وتعطشه المبكر للعلم والإطلاع، يدفعان دفعا إلى المشاركة في كل هذه المناقشات، فيدلي فيه برأيه، مناقشا، ومعلقا، وشارحا، ومفسرا، وكانت شجاعته الأدبية، وجرأته الشخصية سمتان بارزتان عرفتا عنه منذ الصبا، وكان له من شرف المعاصرة والمصاحبة والمجالسة، أن عاصر الكثير من خريجي زوايا جدّه الشيخ، من الوافدين من الأصقاع المختلفة لهذه البلاد، فنهل من علومهم، التي نهلوها من جده مود مالك سي، واستقي المعارف والآداب، من أفواه رجال تلقوها

مشافهة وتلقينا، من الحبر الهمام ذي المآثر الجليلة، والمحاسن الرائعة، والزوايا الكثيرة.

ولقد كانت لمناسابات إحياء المولد النبوي، التي تتكرر على مدار السنوات، وعلى مدار الشهور، في جل مدن هذه البلاد، ويتولى إحياءها جهابذة الحضرة المالكية من أعمامه وكبار تابعيهم، أثرا كبيرا في صقل مواهبه، وتنمية حسه الانتمائي، وكان الفتى العزيز يشهد كل المناسبات، ولربما وكل إليه القيام بمهمة من المهامات الأساسية في تسيير أو إدارة هذه المناسبات، فكان يقوم بذلك على أحسن وجه وأكمله.

ولكم كان الفتى العزيز محظوظا في تتلمذه، فقد كان من أساتذته بعض أعمامه وبعض من خالص المريدين الذين انتدبهم والده الكريم، ليتولوا أمر تعليمه وتدريسه، فأظهر من أمارات النبوغ وعلامات الذكاء، ما كان يثلج قلوب شيوخه ومقرئيه، ولقد كان حريا به أن يكون كذلك، فهو الشبل ابن الأسد ابن الهزبر.

وكان من دأب والد الشاب عبد العزيز، أن يوفده أحيانا، ـ شأنه في ذلك شأن باقي إخوته ـ إلى العديد من المناسبات الاجتماعية أو الدينية أو الوطنية، يمثله، أو ينوب عنه في القيام بواجب التهنئة أو تقديم العزاء، أو تمثيل الحضرة ، أو وضع حجر أساس لمسجد شرع في بنائه، أو مدرسة قيد الإنشاء، أو ترأس ليلة مولد تقام في ذلك القطر، أو تلك المدينة في ربوع السنغال الواسعة، وكانت أصداء تمثيله، للحضرة المالكية تترك أثرا كبيرا في نفوس وقلوب من يستمعون إليه، فلمقدرته اللغوية، وطلاقه لسانه، وإحاطته علما ودراية بالمواضع التي يتناولها في هذه المناسبات المختلفة، إضافة إلى تمكنه الفريد في مخاطبة مستمعيه، وإدارته الحكيمة لدفة الخطاب، متنقلا بين القصص الهادفة، والأشعار الحكيمة، والروايات المسلية، والشواهد التاريخية مفعولها في جذب انتباه وإصغاء من يستمعون إليه.

ولو قدر لك أن تستمع إلى عزيز قومه، وهو يلقي محاضرة أو يخطب جموع الناس، لهالك من ضمن ما يهولك مقدرته العجيبة في تذكر الأشخاص والتواريخ، ولدهشت وأنت تسمعه يردد لك التفاصيل الدقيقة في الأحداث الوطنية أو الدينية الغابرة في القدم، فكم يحلو الجلوس بين يدي العزيز عبد العزيز للاستماع إليه وهو يسرد التاريخ لك سردا.

وكان الفتى العزيز، في تمثيله للحضرة المالكية، أولغيرها من الهياكل التنظيمية التي انخرط فيها، قائدا لها، أو عضوا فيها، يزاوج بين حنكته السياسية، وخبرته بالأمور الإدارية والإجراءات الخاصة بالسلطة، وبين مقدرته على قراءة الأحداث الاجتماعية والسياسية، إضافة إلى رباطة جأشه، وقوة عزيمته، وصلابة إرادته، ليكون خيرا سفير لمن أوفدوه وأختاروه ناطقا باسمهم، وما أكثرهم!!

وقد عايش عزيز قومه، كل الأحداث الاجتماعية والدينية والعلمية لجيل زمانه، فتأثر به وأثر فيه، وكانت له مواقفه التاريخية والبطولية في صنع الأحداث، وتوجيه مسارها، فلم يعرف منه ـ قط ـ القبول بالأمر الواقع، ولم يرضخ أبدا لوضع مفروض عليه، وإزاء الأحداث السياسية والوطنية التي شهدتها مدينة تواوون، إبان فترة الاستقلال وما تلاها من أحداث جسام، وتغييرات جذرية، تولد لديه نضج سياسي مبكر، ووعي وطني يقظ بالقضايا الوطنية، وبخاصة منها تلك المتعلقة بشريحة الأسر الدينية.

وإبان تأسيس اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال في فترة السبعينات، وقف الشاب عبد العزيز طودا شامخا، وجبلا راسخا، مدافعا ومناضلا عن كل القضايا والمسائل التي تخص هذه الجمعيات، فأكسبته مواقفه تلك ثقة نظرائه، وموافقة الجمعيات الإسلامية الأخرى على أن يستند إليه رئاسة هذا الاتحاد، فكانت له مع الاتحاد مواقف محمودة تذكر فيشكر عليه.

وتشاء الأقدار، أن يصبح الفتى كهلا، ثم شيخا، وتتحول التسمية التي كانت تطلق عليه تحننا وتحببا « عبد العزيز الصغير» إلى « عبد العزيز الأمين»، فقد أصبح يشكل وجوده عاملا جوهريا في إدارة وتسيير أمور الحضرة المالكية، وإذا بأشقائه وبني أعمامه، الأكبر منه سنا أو من دونه في العمر، لا يبتون في أمر ، ولا يحسمون في شأن، إلا بعد أخذ مشورته، وإلا بعد استخارته، فانطبق الاسم على المسمى، وأصبح العزيز أمينا.

وعلاقته بإخوته، وبالأخص مع العميدين اللذين يكونان معه ـ في الوقت الحالي ـ الأسرة المالكية التواوونية، ممثلة في الشيخ أبي بكر المنصور، والشيخ مود مالك عبد العزيز، أصبح ما تكون بتلاحم الجسد الواحد، يذود عن حياضهم، ويتبنى قضاياهم، ويحمل همومهم، وحرى به أن يكون كذلك معهم، فكلهم يرونه في تصورهم ملجأ حصينا، وركنا شديدا، وأخا أمينا، يؤتمن جنابه في المحن والشدائد.

وسياسيته في لمّ شمل العائلة، وتوحيد كلمتها، أعظم به من سياسة، فإذا ما جدّ في ساحتها جديد، أو طرأ طارئ، هب عزيز قومه، يستجمع كلمتهم، ويشرك قاصيهم ناهيك عن دانيهم، فإذا بالأمر الذي بدا عصيا على الحل، صعبا على المعالجة، يصبح هينا سهلا.

ولا تسأل عن أيامه، فكل حياته سعي إلى مجد أصيل، وكل ارتحاله من أجل كسب الخير للحضرة المالكية، وقد فاض خيراته حتى عم غير أهل حضرته،

معا من أجل السلام على خطى الأمين

بتوجيهات الشيخ أبي بكر سي بن منصور و إخوته الكرام الشيخ الحاج مالك سي أبي بكر الناطق الرسمي باسم الخليفة و الشيخ الحاج مالك سي عبد العزيز ، جاء شعار الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في مدينة تواوون المحروسة لهذا العام 1440 تحت عنوان « معا من أجل السلام على خطى الأمين» و ذلك بالتركيز على شخصية المناضل من أجل السلام ، الشيخ عبد العزيز سي الأمين رحمه الله ، ذاك العلم الذي كانت مساعيه كلها سلاما شكلا و مضمونا ، و ما أحوج بلادنا اليوم إلى مثل هذا النموذج ، فالسلام مطلب ضروري يلازم الفرد في كل مراحل حياته ، إلى حين لقاء ربه ، ليكون بذلك عنصرا إيجابيا في المجتمع الذي يعيش فيه ، و قد أكد الخطاب القرآني هذا المفهوم في أكثر من موضع و من ذلك قوله تعالى : (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿33 مريم﴾

وحول الشعار « معا من أجل السلام على خطى الأمين» تدور فعاليات الاحتفال بالمولد في هذا العام ، و ليس من باب الصدفة ربط الشعار بشخصية الشيخ عبد العزيز سي الأمين الذي أدى دورا رائدا في إيجاد السلام الاجتماعي و السياسي و حتى الاقتصادي و التربوي ، فبدد بذلك ألغاما كان من شأنها لو انفجرت أن يزج المجتمع في هاوية الشقاق و العراك .

و ليس بالخفي كون السلام مطلبا أساسيا في الوقت الراهن سواء على المستوى المحلي أم العالمي ، و الإسلام في شكله و مضمونه دين سلام بكل ما تحمله الكلمة من مدلول ؛ و بهذه الاعتبارات قامت اللجنة الثقافية للمولد بوضع الموضوعات الفرعية التالية : « مكانة السلام في الخطاب القرآني » ، « دور السلام في إيجاد الاستقرار الاجتماعي » ، « عنصر السلام في أركان الإسلام الخمسة » و فيما يلي تلخيص هذه الموضوعات :

مكانة السلام في الخطاب القرآني

لقد اهتم الخطاب القرآني بالسلام غاية الاهتمام إلى حد أن اعتبره أمرا ضروريا في الدنيا و الآخرة على حد السواء ، فالقرآن يشير إلى أن طاعة الله تفتح آفاق السلام ، يقول تعالى : « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » 16 المائدة و من الناحية الاجتماعية يشير الخطاب القرآني إلى أن الصلات الرابطة بين أفراد الأمة يجب أن تكون على أساس من السلام ، يقول تعالى « و إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » 54 الأنعام ، كما يؤكد أن السلام يتعدى حدود الدنيا إلى الآخرة ، يقول تعالى « لهم دار السلام عند ربهم و هو وليهم بما كانوا يعملون » 127 الأنعام ، و من فاز بالسلام يوم القيامة فقد فاز يقول تعالى : « و نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم » 46 الأعراف

بل إن تحية أهل الجنة في الجنة سلام : « دعواهم فيها سبحانك اللهم و تحيتهم فيها سلام » 10 يونس «والله يدعو إلى دار السلام » 25 يونس و هبوط نبي الله نوح من السفينة كان بسلام : « قيل يا نوح اهبط بسلام منا و بركات عليك » 48 هود

ولفظ التحية و الترحيب بين نبي الله إبراهيم وضيفه كان سلاما « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام » 69 هود و جزاء الصبر و التحمل و الإخلاص يوم القيامة السلام : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » 24 الرعد

وتحية أهل الجنة في الجنة السلام : « خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام » 23 إبراهيم

ودخول أهل الجنة فيها يتم بالسلام «أدخلوها بسلام آمنين» 46 الحجر

ولك أن تضيف إلى ذلك ما شئت أن تضيف من شواهد تؤكد مدى عناية الخطاب القرآني بالسلام ومسبباته

دور السلام في إيجاد الاستقرار الاجتماعي

إن مجتمعاتنا المعاصرة بحاجة ماسة إلى الاستقرار و الأمن و التعاون و التكامل، و لا يتحقق ذلك قط إلا بتحقق السلام الذي ينطلق من الضمائر أولا و العقائد ثم ينتكس على المجتمع الكبير ، فالفرد المسلم عند لقائه بأخيه يقرأ عليه السلام ، و يرد عليه أخوه بالمثل أو أحسن منه، و آخر كلمة يُنهي بها المصلي صلاته السلام و السلام من أسماء الله الحسنى ، و يسن للحاج أن يدخل إلى بيت الله الحرام من باب السلام ، و في شهر رمضان ليلة كلها سلام حتى مطلع الفجر ، و قد كان الرسول و معه الصحابة يجاهدون من أجل حفظ السلام .

فالبيت الزوجي بحاجة إلى السلام ، حتى ينشأ أفراد الأسرة في جو هادي يسود فيه الاحترام المتبادل و تتحقق المودة و الرحمة التي يقصدها القرآن في قوله تعالى « و جعلنا بينكم مودة و رحمة »

فالراعي و الرعية بحاجة كذلك إلى السلام ليتمكن كل طرف من أداء دوره المنوط به لتسيير المجتمع، فلا يخفى على أي متوسط الثقافة أن الحروب و النزاعات التي يشهدها المجتمع الدولي حينا لآخر تؤثر سلبا في الاستقرار الاجتماعي و الاقتصادي و حتى التربوي ، مما يؤكد الصلة اللصيقة بين السلام و سائر متطلبات الحياة .

فإذا كان السلام من أكبر المطالب التي يسعى عالمنا اليوم لتحصيلها فإن الدين الإسلامي بمختلف أبعاده يدعو إلى هذا السلام ، و إلى مسبباته انطلاقا من العقيدة الصافية و المحبة الصادقة و التضحية الخالصة من أجل المصالح العامة

فالكليات الخمسة التي جاء الدين الإسلامي لحفظها لا شك في أنها تحقق السلام و الاستقرار الاجتماعي و هي الدين و النفس و النسل و المال و العقل وقد كان الشيخ الحاج مالك سي نموذجا حيا في حفظ السلام و حسن التعامل مع الناس و تجنب حقوقهم ، و يروى أنه كان يصل في باب سد الذرائع إلى حد أنه كان يمتنع من شرب اللبن مخافة الوقوع في الحرام أو الشبهة إذا كان اللبن من ماشية أكلت حراما و لله در الشاعر الحاج علي غي أحد مقدمي الشيخ الحاج مالك سي حيث وصفه بقوله :

إذا نحن جئنا نحوه للتعلم

وجدناه سهلا لينا لم يشدد

فهذه الشيم النبيلة ، و هذه الدرجة الرفيعة من التحفظ لا شك في أنها توطد السلام و الاستقرار في المجتمع الإنساني ، و قصة حياة الشيخ الحاج مالك سي مليئة بما يؤكد أنه رجل سلام ، بل إنه سلام في سلام من طلوع فجر حياته إلى اليوم ، فيحكى أن السلطات الفرنسية في مدينة اندر كانت ذات مرة قد قررت تطعيم المواطنين ضد وباء في المنطقة فامتنع الناس من التطعيم شكا في أمر الاستعمار فتوعدهم القائد الاستعماري ، فلما بلغ الأمر إلى الشيخ الحاج مالك سي قابل القائد و نصحه باستخدام العقل و الحكمة بدل القوة و القهر فسأله القائد عن الحل الناجع فطلب منه استدعاء القائمين بعملية التطعيم فطعموه ، و لما سمع الناس أن الشيخ الحاج مالك سي قد طعّم و أكد خلو العملية من المخاطر قدموا إلى أماكن التطعيم أفواجا أفواجا ، و بذلك قلده القاعد الاستعماري وساما وكان ذلك و لم يزل مضرب مثل في الحل السلى للمسائل الشائكة لدى الشيخ الحاج مالك سي

عنصر السلام في أركان الإسلام الخمسة

بإمعان النظر في أركان الإسلام الخمسة نجد أنها تتضمن قيما ترسخ السلام في الفرد و المجتمع كما تذلل المعضلات التي يعيشها عالمنا المعاصر ، بما فيها الصراعات الفئوية و المواجهات الدامية و غياب التعاون و الندية في التعامل

السلام في كلمة الشهادتين:

حينما يتلفظ الفرد بكلمة الشهادتين فإنه يوطد دعائم السلام باستسلامه لرب واحد قادر وعالم بكل شيء مما يجعله يراقب نفسه مراقبة تحول بينه وبين ظلم الخلق لأنها عيال الله ،و السعي لما من شأنه إخلال السلام والاستقرار و الأمن في المجتمع ، حتى لا يكون من زمرة الذين قال الله في حقهم « ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس »

و كذلك حينما يشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ينقاد خلف حامل لواء السلام منذ قبل بعثته رسولا للعالمية ، كما روي : « أَنَّ قُرَيْشاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ هَدَمُوا الْبَيْتَ ، فَلَمَّا أَرَادُوا بِنَاءَهُ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُ ، وَ أُلْقِيَ فِي رُوعِهِمُ الرُّعْبُ . حَتَّى قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : لَيَأْتِيَنَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِأَطْيَبِ مَالِهِ ، وَ لَا تَأْتُوا بِمَالٍ اكْتَسَبْتُمُوهُ مِنْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، أَوْ حَرَامٍ ، فَفَعَلُوا ، فَخُلِّيَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ بِنَائِهِ ، فَبَنَوْهُ حَتَّى إِنْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، فَتَشَاجَرُوا فِيهِ أَيُّهُمْ يَضَعُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَوْضِعِهِ ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ . فَحَكَّمُوا أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ ، ثُمَّ أَخَذَتِ الْقَبَائِلُ بِجَوَانِبِ الثَّوْبِ فَرَفَعُوهُ ثُمَّ تَنَاوَلَهُ (صلى الله عليه و آله) فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ ، فَخَصَّهُ اللَّهُ بِهِ »

انظر إلى هذا الحل الحكيم الذي جعل السلام يخيم في حالة كانت مقدمات الحرب قد اجتمعت مما كان سيترتب عليه سقوط ضحايا

بين الصلاة و السلام

لقد أكد القرآن الكريم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ، فقال جل و علا : « اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» 45 العنكبوت

والمجتمع حين يخلو من الفحشاء و المنكر فإن ذلك هو السلام بعينه ، مما يعني إذن أن الصلاة على اختلاف أشكالها و أنماطها من فرض و نفل ، و صلاة جماعة و فرد كل ذلك له دور في ترسيخ دعائم السلام في المجتمع ، و أقرب دليل على ذلك كون آخر كلمة تختم بها هذه الشعيرة هي كلمة السلام عليكم ، فالمصلي حين يسلم عن يمينه و عن يساره فكأنما يقول ضمنا بأن كله سلام و أنه لا يتأبط شرا ضد إخوته ، أضف إلى ذلك مضامين سورة الفاتحة التي لا صلاة بدونها فتجد فيها كلمة بسم الله و الله هو السلام ، و قل مثل ذلك عن كلمة الرحمن ، الرحيم ، ملك يوم الدين مما يقتضي الإذعان لهذا الخالق و حفظ السلام الذي دعا إليه .

بين الزكاة و السلام

لا يختلف علماء الاجتماع في أن من أهم الأسباب المؤدية إلى انعدام السلام والاستقرار في مختلف المجتمعات انحصار الملكية لدى أفراد معدودين بجانب شدة الفقر لدى السواد الأعظم ، بحيث يعيش بعض في أدنى دركات الفقر و يعيش آخرون في أعلى درجات الثراء ، مما نتج عنه سوء التقسيم و عدم تكافؤ الفرص ، فظهرت الطبقية ، و قد جاء نظام الملكية في الإسلام لحل هذه الأزمة عن طريق آليات كثيرة يتعذر حصرها هنا و منها تمثيلا : الزكاة و التي هي ركن من أركان الإسلام ، و الوقف والصدقات و الهدايا و الهبات و الأفدية ، و الكفارات المالية ، و الديات ... و ذلك حتى لا تكون الملكية دولة بين الأغنياء دون غيرهم

بين الصيام و السلام

يقول تعالى في محكم تنزيله « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فنفهم من هذه الآية الكريمة أن الصيام وسيلة للارتقاء إلى درجة التقوى و التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، و السلام كل السلام منحصر برمته في امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه « و الله يدعو إلى دار السلام».

و من خصائص الصيام كذلك أنه يصفي الروح من الرذائل و يرشد السلوك إلى سواء السبيل و يفرز من الجسد العلائق ، و هذه الخصائص من شأنها أن تجعل الفرد بعيدا كل البعد عن إثارة الفتن و إخلال السلام ، بل إن ذلك يجعله عنصرا صالحا لبناء مجتمع آمن يسود فيه السلام و التعاون لا سيما و أن الصيام يختتم بعملية اجتماعية مهمة تتمثل في أداء زكاة الفطر، ثم عيد الفطر ، وكل ذلك يصب في صميم السلام .

بين الحج و السلام

إن الحج بجانب كونه شعيرة تعبدية ، فإنه كذلك مؤتمر عالمي يجمع بين القاصي و الداني و القوي و الضعيف و الفقير والغني من أبناء أمة واحدة في بقاع مقدسة و زمن مقدس ، مما يعتبر فرصة غالية و فريدة للم شتات الأمة و توحيد صفوفها و تذليل خلافاتها ، و بعبارة أخرى لتحقيق السلام الشامل، و لذلك هيأ القرآن الكريم الحجاج و دعاهم إلى الابتعاد من كل شر و تحاشي مقدمات الفتن ، فقال جل من قائل : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق و لا جدال في الحج» .

فالحج بعبارة أخرى معرض دولي لعرض المشكلات و حلولها عن طريق الكفاءات التي تجتمع في هذا الملتقى العالمي ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى تفعيل هذه القيم للفكاك من قبضة الفرقة و الشقاق و العودة إلى الحظيرة التي يقصدها جل و علا في قوله : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون».

أيهاعزيزي القارئ، هل سألنا أنفسنا و لو مرة واحدة في حياتنا ، لماذا نقول لإخوتنا عند اللقاء بهم «السلام عليكم «، فيردون علينا و يقولون «وعليكم السلام «؟ أليس من مقتضيات ذلك أن يسود السلام فيما بيننا و في كل الميادين الاجتماعية و السياسية والاقتصادية ؟ فكيف بعد هذا نثير نيران الفتن ، و نؤجج نعرات الخلاف ؟ إن فعلنا ذلك وقع علينا العتاب القرآني « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون « بل إن صاحب هذه الليلة التي نحتفي به قد أمرنا الخطاب القرآني بالاقتداء به فقال « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة « والشيخ الحاج مالك سي منشئ هذا الاحتفال في هذه المدينة الميمونة يقول :

إن النعامة في اتباع نعامة تبعت نعامته مريد سلام

وحسبنا قدوة في السلام الشيخ عبد العزيز سي الأمين عليه رحمة المولى المكين ، الذي كرس كل حياته في غرس فصائل السلام و التعايش السلمي بين الناس على اختلاف أطيافهم و مشاربهم ، داخل وخارج البلاد

«وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»

وفقنا الله لما فيه رضاه في الدارين و السلام عليكم ورحمة الله

محمد مصطفى سي مدير

رئيس اللجنة الثقافية لمنظمة كوسكاس للمولد النبوي الشريف في مدينة تواون المحروسة

دورة1440 هـ / 2018 م

أشجان حزين وزفرات مكلوم!!

من أجلك نصبت الخيام والسرادقات، ونكست الرايات والأعلام، ولفقدك تبكي القلوب والأفئدة، ولغيابك تظلم الديار،وبأمجادك يتذاكر الخطباء، وبمزاياك يفصح الشعراء، وعن أخلاقك يمدح المادحون، ومهما تفنن الكتاب في تعداد خصالك ومناقبك، فلن يبلغوا المعشار في ذلك، ولو أن نفسا تفدّى بنفس، لفديناك بآلاف من نفوسنا، فأنى لنا من عبد عزيز مثلك؟

بفقدك فقدنا العطف والحنان والصدق والإخلاص، فمن سيعوضك في ذلك؟، ومن عوَضك في مواقفك المشرفة من تحقيق للاستقرار الاجتماعي وتثبيت للسلام الوطني؟ وما موقفك في حادثة باخرة «لجولا» عنا ببعيد! فمن أين لنا بشبيه مثلك؟

جسدتَ بامتياز المصلح الاجتماعي، والوسيط المقبول، وسفير النوايا الحسنة، فقربت وجهات النظر بين الفرقاء، وأعدت الوفاق بين السلطة والمعارضة والنقابة، وشواهد التاريخ ناطقة بذلك، شاهدة لك بتمكنك من إطفاء نيران الشقاق بين السنغال وموريتانيا، وبين السنغال وغامبيا، بل استعان بك رئيس غينينا في درء فتنة نشبت بين القبائل والعشائر الغينية، فوحدت الشمل، ووحدت الصفوف، ورأبت الصدع إثر الزيارة التاريخية التي قمت بها خاطبا في القوم، وجاسًّا فيهم النبض الإسلامي الأخوي القوي، فمن سيقوم بمواقفك تلك؟

فيك ـ ننعى ـ المكافح والمناضل والمقاوم والمجاهد الذي لم يكلّ ولم يتعب ولم يتوان يوما ـ منذ عهد الاستعمار، وحتى بعد الاستقلال ـ في دعم قضية الثقافة الإسلامية واللغة العربية ـ لغة القرآن ـ في السنغال، فكنت حجر الأساس في إنشاء اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال، وعملت على أن تضم رحابه الفيحاء كل الانتماءات الفكرية والعقدية والطائفية والقبلية السنغالية، وقُدت مسيرتها حقبا من الدهر دون أدنى سآمة أو ملل، وحققت للإسلام وللغة العربية وللشريحة المستعربة من السنغاليين في هذا الكيان الثقافي إنجازات ضخمة، تذكر وتشكر عليها، فمن يقدر من اللاعبين أن نستبدلك به؟

تبكيك المراكز الدينية السنغالية جمعاء، تبكي حكمتك الفذة في تعاملك معها، وفي خلق قنوات تواصل بين بعضها البعض، وفي فكك لقيود الأنانية والنرجسية التي كانت تأسر بعضها، فجعلتها بمساعيك وحدة منسجمة، يرى كل طرف

فيها بمدى ما للآخر من فضل وخير، ويشعر بما يكنه له من محبة واحترام وتقدير.

براعتك وروعتك ونموذجية المساعي التي أقدمت عليها إحياء وتخليدا وتنشيطا لرابطة علماء المغرب والسنغال، وما قطعته من أشواط من أجل تجديد الحياة فيها، تبقى سطورا من الذهب يخلدها التاريخ، وقد عملت ضعفها عند ما تم تحويلها إلى مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، فمن يبرع فيها بعدك؟

بغيابك، افتقد الساسة شهما نبيلا، سعيت في توجيههم، وتقديم المشورة والنصيحة الغالية لهم، فاستفاد من خبرتك الكثيرون من السياسيين في ساحات السياسة، وبلباقة دينية متميزة، يبقى سرها محتفظا به لديك، ومثلهم استفاد المعلمون والمربون والاقتصاديون من معين بحركم الصافي، ومنهل معارفكم العذب، وما خطواتكم على الصعيد التعليمي والتربوي، ودعواتك المتكررة لهذه الفئة من المعلمين والأساتذة والمربين بأن يكونوا قدوة، وتوجيهاتكم الرائدة والواعية للسياسيين، وآراءكم الحكيمة والصائبة للاقتصاديين إلا قطرات من بحر السجل المشرق الشاهد على عظمتكم ونفاذ بصيرتكم، فأنى لنا من مثلك؟

تَنْدُب مُوَاراتكَ الثرى لجنة المتابعة لإحلال السلام وتحقيق الوئام بين العراق وإيران، والتي كنت فيها عضوا فاعلا، وتبكي فقدك جمعية الدعوة الإسلامية، التي سافرت من أجلها إلى ماليزيا، وسيريلانكا، وإلى ليبيا عشرات المرات، وإلى بلدان المغرب العربي؛ تونس والجزائر والمغرب مرات لا تعد ولا تعصى، فبليت البلاء الحسن في كل مواقفكم الإنسانية والإسلامية، وشاركتم بعلمكم وحلمكم وفكركم ومالكم وتجربتكم وحنكتكم ورويتكم ودرايتكم أيما مشاركة!.

ودواليك كانت رحلاتكم الدعوية الجهادية إلى القارة القديمة أوروبا؛ إسبانيا، وفرنسا، وإيطاليا، ومالطا، وإلى القارة الجديدة أمريكا، وتوغلت في عمق إفريقيا وأدغالها؛ فحط رحالك أرض الجمهورية الإسلامية الموريتانية، وغينيا بساوو، وغينيا كوناكري، والغابون، ومالي، وساحل العاج، وجمهورية توغو، وسيراليون، وغامبيا، وما كانت أغراضك ومراميك النبيلة من هذه الأسفار إلا: تجديد العهد، وصلة الرحم، وتوعية الأحباب، وحثهم على الكدح والعمل الجاد، والاعتماد على النفس،وبأريحية منقطعة النظير، أنفقت أموالا طائلة، وعانيت في هذه الأسفار مشقات جمة، وما تراجعت، ولا ترددت في إعلاء كلمة الله، ورفع راياتها عالية خفاقة، علمت، وربيت، ووجهت، ونصحت، وأرشدت في فترة لم تكن فيها الظروف ولا الأوضاع متاحة وسانحة كما هي عليه الآن، ولو استفتي الناس في شأنك، لقالوا جميعا بلا استثناء: شكرَ اللهُ سعيك أيها السيد الأمين.

منابر الدروس الحسنية رزئت بفقدك وغيابك المفاجئ، كم تشرفت جلساتها بحضورك، وكم تناولت الكلمة فيها ممثلا كفءا لبني قومك وبلدك السنغال، معربا ومبديا في تدخلاتك موقف المثقف السنغالي في القضايا المطروحة على موائد هذه اللقاءات.

وفي أرض النبوءة والرسالة، حط رحالك مرارا للمشاركة في المؤتمرات العالمية التي دعيت إليها، وآخرها كان في عام 2008، بدعوة من الملك عبد الله، وكانت كلماتك فيها قوية وشريفة بقدر شرف من تمثلهم.

شجاعتك الأدبية كانت الجنّة الواقية، والدرع الحصين، التي عليها تحطمت خناجر الأقلام المأجورة والسهام المغرضة، وغيرتك على الطريقة الأحمدية التجانية حميت بها عرض الطريقة ورجالها ومبادئها، فأنت جنرالها ومحاميها والمدافع الدؤوب عنها، فهل تجود الأيام بمثلك؟

من بعدك تيّتم المقدمون والعلماء والأئمة والأحباب، وأفقرت من الخير والهدايا ديار الأرامل والثكالى، فجودك الحاتمي وحلمك الأحنفي رَفعتْ الحجب بينك وبينهم، وأزالت الحواجز والسدود بين التابع والمتبوع، فلا سدود، ولا حجاب بين المربي والمتربي، وفي عين عنايتك ورعايتك لهم كلهم إخوة وأبناء، وهم يبادلونك ويكنون لك من المحبة والود ما لا يعلمه إلا الله، شاركتهم أفراحهم وأتراحهم، وأغدقت العطايا والهبات السخية عليهم، كنت لهم عونا، ونعم المعين!

راعيا، معتنيا، مشفقا، ساهرا، كنت على شؤون الأسرة المالكية والحضرة التجانية، فكنت

أخا الأيتام والأرامل، وأكرم الناس بحق الضيف والجار، فواضلك تخجل من جمها الأنامل، فأنت البدر، لا تخفى على الساري، تكفلت بالديون، وفككت العاني، وأطلقت الأسير، وكنت سمح اليدين غير مقتار، وأنفقت سرا وعلانية، فمن كفيلنا بعدك؟

ويا لهف تواوون !! وهي تندب فقيدها، وتبكي ابنها البار، الذي سعي من أجل توسيع رقعتها الجغرافية،وتخطيط أحيائها الحديثة، وتحديث أحيائها القديمة، هي تدين لك بما وصلت إليه الآن من تطوير وتعمير وتنمية، عملت على أن تستفيد تواوون من كل الخدمات الجديدة الضرورية، ومن كل المرافق الحديثة اللازمة، فحملت لها الخير، وحققت لها مشاريع معمارية خلاقة وإبداعية، وكانت نظرتك البعيدة والصائبة وراء التحديث والتعمير الذي أدخلتهما الحكومة في العواصم الدينية.

قلبك الكبير، وأياديك البيضاء وفعالك الحسنى تجاوزت آثارها مدينة تواوون، فكم من مدن وقرى وأحياء في ضواحي تواوون؟ ، استفادت من مكرمات نبلكم، سهرت على أن تصل إليها خدمات المياه والكهرباء، وعلى أن يستفيد كل مستحق لها بهذه الخدمات، بصرف النظر عن انتماءه الفكري أو الطائفي، وقد شرفتنا بالإشراف والرعاية لهذه الأعمال ومتابعتها، وماذا عن أناس وفرت لهم بقعا أرضية، وأخذت على أيديهم لبناءها بمساعداتك السخية وهباتك الكريمة؟ وأناس وقفت وراء حصولهم على مصدر محترم للرزق؟

أسست دور تربية وتعليم، وأخرجت من ثناياها معاهد نموذجية، ومزارع تدريبية، تزاوج بين الجانب النظري والجانب العملي في تكوين المواطن الصالح، والفرد الخير، تحولت إلى جامعات شعبية وبيئات حاضنة تربى وتكون الفرد للاعتماد على نفسه، وما المعهد الإسلامي في تواوون، وتجربة بلل الزراعية وبال جوب، وكر ممر سار، إلا أرقاما ضمن السلسلة الطويلة من إنجازاتك وجهودك.

وأنى يكون لنا من شيخ تربع على قمم النبل والشهامة، والعطف، والكرم، والعفة، والثبات، والصبر، والتحمل، وكظم الغيظ، والعفو، والإحسان، ....الخ؟ ،

فعلى روحك الزكية يا عبد العزيز تحية، تحية تجديد للعهد والمحبة، تحية تأكيد وتمتين لعرى البيعة وميثاق الوفاء على المضي قدما في المشوار والمنهج الذي رسمته لنا مع الأحباب، وتحية قسم آلينا فيها على أنفسنا أن نكون خير خلف لخير سلف، فلن نحيد قيد أنملة عن وصاياك وتوجيهاتك الغالية بالمحافظة على التراث؛ والذي لخصته في: علم، ومعرفة، وثقافة وعبادة وأخلاق، ولن نتهاون قط بوضعها نصب أعيننا ودعوة الجيل المعاصر للاستنارة بها:

إن مات شيخكم ما مات شرطكم
توارثا كل أوقات وأوقات

فيا من باغته يد المنية، ورحل عن دنيانا، بعد أن أوصى ذريته وأهله بما أوصى به النبيون والصالحون بنيهم وأتباعهم، ويا من ربى فؤادنا، وقوى من عزمنا، وضاعف ثقتنا في أنفسنا، ووجه مصيرتنا نحو التقدم والتطور والازدهار، وداعا حتى نلقاك في جنة الفردوس.

ويا عبد العزيز، الذي رحلت عن عالمنا في ظرف عصيب، وواقع مرير، نحن فيه بأمس الحاجة إلى تعاليمك وتوجيهاتك، وإرشاداتك وكلماتك، ودعواتك، ويا خير والد نحل أولاده تربية حسنة، وهيأ لهم من أمرهم رشدا، وكان مأمونا في ترقية الأرواح وترويضها على حب الله وحب رسوله، وحب سير الصالحين والعمل على مقتضى الكتاب والسنة، ما أشد وأصعب فراقك لنا، لكن إلى جنة الخلد مصيرك.

فيا من فارقتنا، وفي فراقك عبرة وعظة، ويا نجما سطعت أنواره في سماء تواوون، ورسم للسائرين من بعده نهج السعادة والفلاحة، ويا من رحل عنا جسمه وبدنه، وأبقى لنا من بعده ذكرا خالدا، وثناء حسنا في ذاكرة التاريخ وفي ضمائر الناس، وداعا وداعا، وإلى جنة الخلد، حيث تجزى من قبل مولى عزيز، أعزّ منك يا عبد العزيز، على ثمرات جهودك، ونتائج أعمالك في فسيح جناته.

فتحيةَ إكبار وتبجيل، وانحناءَ إجلال واحترام، لتسترح روحك الراضية المرضية في ظل والدك الرافل بالسعادة الشيخ أبي بكر، الذي بشر بأن عبد العزيز عندنا في كنف عناية الله، الذي يجزئ العاملين المخلصين المحسنين، ولتستقبلك ملائك الرحمة بلافتات «يا أيتها

النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي».

وعسى مع ما يعترينا من شدة اللوعة، وهول الفاجعة، وشدة الحالة، أن يخفف سكب هذه العبرات من دموع قلب مفجوع، ونفس جريح على فراق شيخها، الذي هو السيد النبيل، والسند الجليل، ووارث أسرار الأخيار، وحامل مفاتيح الأنوار، أمين الأمة، وراعي الملة، محيي الشريعة والسنة، ومصباح حضرة الأئمة، مأوى المساكين، ومحك المستضعفين، ومنقذ المحتاجين، وموئل الملهوفين، وعصمة الأرامل، وأنيس الأفاضل، سُعدْت بصحبته وبمرافقته طوال ثلاثين عاما، فقلت مستعينا بالله وفضله:

إني لفقدك هائمٌ أتوجعُ ... ما مثلُ بُعْدكِ أيُّ شيءٍ يفجَعُ
عبدُ العزيز عزيزُنا في ذمة ال ... لله الذي كلٌ له يستَودَعُ
هذا قضاءُ الله لا رجعى له ... فإذا المنية أقبلت لا تُدفَعُ
ذهب الذي غمر الجميع بعطفه ... برًّا وحُبّا رحمةً لا تُقطَعُ
من كان يبسطُ للفقير جناحَه ... رَكنُ اليتيم إذا الشدائد تَصفَعُ
ذو همة وفصاحة وسماحة ... للعلم أهلٌ بالبلاغة يصدَعُ
ولقد رأيتُ فما رأيتُ شبيهَكُم ... ذا عزة وبساطةً يترَفَّعُ
ما أنسَ لا أنسَ الوضاءةَ والتُّقى ... والبذلَ إذ تأتي الأنامُ وتفزَعُ
للحق أهلٌ واصلٌ أرحامَه ... ومن الزمان وريبه لا يَجزَعُ
تبكي تواوونْ والمدائنُ حولها ... وتئنُّ من ألم الرحيل وتخشَعُ
ومعاهدُ للعلم قد أنشأتَها ... تدعو لكم ربَّ السماء وتضرَعُ
ونجومُ علمك بالبلاد جميعها ... شرقاً وغرباً تستنيرُ وتلمَعُ
يَهدونَ بالعلم الذي ورَّثتَهُم ... فبفضلهم ليلُ الجهالة يُقشَعُ
بدرٌ وتترا حوله من مالك ... تلك الكواكبُ نورُها يتشعشَعُ
إن غابَ بدرٌ عاقبته كواكبٌ ... كلٌ له فلكٌ يدورُ وينفَعُ
يا آلَ سيي آلِ الأمين ومالك ... أسرارُكم لا تنتهي لا تقطَعُ
جلّتْ مآثرُ فضلكم وتشعَّبَتْ ... في كلّ حيّ تزدهي وتوزَّعُ
فأدِمْ إلهي فضلَهُم في قومنا ... حاشاكَ تمنعُ ما بسطتَ وترفَعُ
يا ربّ أنزلْ بالحبيب تحيَّةً ... بَرْداً سلاماً رحمةً تتوسَّعُ
في منزل الشهداء فاجعلْ رُوحَهُ ... يغدو بدار الخلد لا يُصَدَّعُ
واقبلْ إلهي منه كلَّ فعاله ... يا من تُجيبُ السائلينَ وتسمَعُ
وفق خليفتنا الجديد وكن لَهَ ... وأعنه فيما يبتغيه ويشرَعُ
واجعله ذخرا للأنام وأهله ... ولنصرة الإسلام دوما يهرَعُ
سدّدْ خطاه علي خُطي خير الورى ... بارك لنا في كل ما يتتَبَّعُ
يا ربِّ صَلِّ علي الحبيبِ مُحَمَّدٍ ... ما قامَ بينَ يديك عَبْدٌ يركَعُ

بقلم/خليفة لو /السكرتير الخاص للشيخ

الإصلاح الاجتماعي في فكر الشيخ الحاج مالك سه

أولا: مفهوم الإصلاح الاجتماعي

الإصلاح لغة من الصلاح ضد الفساد، قال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ[1]}، أما الاجتماعي فهو من الجمع، ومعناه: تأليف المتفرق وضم بعضه إلى بعض، والجماعة: عدد من الناس تجمعهم غرض واحد.

ويتضح من ذلك أن المعنى اللغوي للاجتماع يعني: اجتماع الناس وعدم تفرقهم، وجمع الأشياء بعضها إلى بعض.

والإصلاح الاجتماعي في أبسط معانيه، فيعني: «مناقضة الفساد الذي يصدر عن جماعة الناس، بإقامة مجتمع بديل عنه يبنى على أسس فكرية وعقدية سليمة، تنشأ عنها سلوكيات صحيحة، تشمل جميع المظاهر الاجتماعية».

ثانيا: مكانة الإصلاح الاجتماعي

إن الإصلاح الاجتماعي له مكانة عظيمة في الدين فهو المهمة الأساسية للرسل وورثتهم من العلماء والأولياء والصالحين، قال تعالى على لسان شعيب عليه وعلى جميع {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ[2]}، وقال أيضا: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ[3]}، وقال: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[4]}.

والإصلاح الاجتماعي له الأولوية في عملية الإصلاح، فهو على رأس الإصلاح السياسي والاقتصادي والفكري وغيرها.

ولأهمية الإصلاح الاجتماعي صوره لنا الرسول الكريم ﷺ تصويرا رائعا جذابا، حين قال: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا[5]»، فيتضح من هذا الحديث أن أي مجتمع لا يوجد فيه من يأخذ بأيدي المفسدين الطغاة عاقبتها الانخرام والانهيار، وأن أي مجتمع اشتغل فيها أصحاب الرأي والمشورة على العبادات فقط دون القضايا الاجتماعية فنهايتها الفساد والخراب، ولهذا جعل الرسول ﷺ الإصلاح فوق درجة صلاة النافلة، وصيام النافلة، وصدقة النافلة، حين قال كما في حديث أبي داود من طريق أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة». قالوا: بلى. قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة[6]».

ثالثا: عملية الإصلاح الاجتماعي، ودور الشيخ الحاج مالك في ذلك

إن أي مجتمع سواء أراد الانحلال من الفساد إلى الصلاح، أو العكس، فلا يخلو من ثلاثة أصناف، يُكوِّنون المجموعة البشرية، وهم: العوام، الخواص، السلطات، وبالرجوع إلى أفكار الشيخ الحاج مالك رضي الله تعالى عنه من خلال كتاباته نجد بأنه كان يولي اهتماما كبيرا لهذه الأصناف، بل إن أكثر كتاباته ما كان يصب إلا في قالب إصلاحهم وتحسينهم، وسنقوم بتسليط الضوء على مظاهر اهتمامه بكل صنف من هذه الأصناف.

(١) - سورة البقرة/ الآية: 220

(٢) - سورة هود/ الآية: 88.

(٣)- سورة الكهف/ جزء من الآية: 56.

(٤) - سورة آل عمران/ الآية: 104.

(٥) - رواه البخاري في الصحيح/ كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه

(٦)- رواه أبو داود في السنن/ كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين.

الصنف الأول: العوام، وهم الأغلبية الساحقة من الناس، ويتكونون من طبقة العمال والموظفين العاديين، والشباب وغيرهم، وقد اعتنى الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه بهذه الطبقة، وتناول مواضع الفساد فيهم، ومغالطاتهم وأوهامهم وغرورهم، وشخص أمراضهم والمنكرات الغاشية، والعادات المذمومة، والعوائد الجاهلية فيهم، ومن يراجع كتاباته يجد الكثير من محاربته الفساد الخلقي لهذه الطبقة، ومنها:

التحذير من الغرور بالدنيا وزخارفها، يقول في كتابه زجر القلوب:

فإن تسأل الدنيا فإن سرورها

يعود عذابا يتقيه أديب

فإن تسأل الدنيا فإن أمورها

كأضغاث أحلام بدت وتغيب

فإن تسأل الدنيا فإن حلالها

حساب وخبث والحرام عقوب

فإن تسأل الدنيا فإن وزانها

أخف جناحا للبعوض خلوب

فإن تسأل الدنيا فإن لذيذها

بضر وبؤس والبلاء مشوب

ـ تشخيص الأمراض الاجتماعية وتقديم الأدوية لعلاجها، ويظهر هذا النوع ظهورا بارزا في كتابه كفاية الراغبين حيث عالج فيه كثيرا من هذه الأمراض، مثل: ظاهرة الرشوة، ظاهرة الاتجار باسم الدين، ظاهرة اجتماع النسوة مع الرجال للذكر، وخروجها متبرجة، والتعلق بالتمائم، والتطير بالسفر في بعض الأيام، وغيرها، ومن محاربة لهذه الأمور قوله: «»ومما عمت به البلوى أيضا ولا نكرة فيه تفيد، معاذ الله ربنا المجيد، اجتماع النسوة للذكر جهرا مع أن منعهن الأذان ولو للنساء، والجهر في الصلاة ولو في قعر بيوتهن على الظاهر، لا يختلف فيه اثنان من العلماء»، وقوله: ورافعة صوتا وأصوات حَليها= حرام سماع مثل شمس ضحاء

وقوله أيضا: «وممًا عمت به البلوى أيضا في هذا الزمان الرشوة التي سموها اليوم الهدية، وهي اليوم ـ كما سيأتي ـ رشوة»، وقوله: «ومما يجانس شرك الأغراض التعلق بشيء مثل التمائم وغيرها دون إسناد التأثير إلى الله تبارك وتعالى»، وقوله: « ومما يشاكل ما قدمناه ما أحدثه بعض من ينتسبون لعلم الأسرار، وهم يعتقدون أنها بالسين المهملة فإذا هي بالمعجمة لما أحدثوا من بيع أسماء الله تبارك وتعالى بالمال». وقوله في إحدى رسائله: «واحذروا من يأتيكم، ويقول لكم هذه الرسالة من قبر النبي ﷺ وقال فيها: كذا كذا، وكل ذلك من الادعاءآت التي لا بينة لها».

وقوله: «وأحذركم يا إخواني عن ثلاثة: من يضمن لكم الجنة، ومن يأتي مريضكم ويدعي أنه قادر على إبرائه .....ومن يأتيكم ويقول لكم: يأتيكم الوباء والبلاء إن لن تكتبوا الشيء الفلاني أو تدعوا بالدعاء الفلاني...» وقال في رسالة أخرى: «وآكد ما أحذركم به بعد نفسي كلمة توارثتموها منذ أزمان، وهي قولكم: فلان يأكل الناس»، وجاء في رسالة أخرى قوله: «فإني لما رأيت فساد الزمان، واختلاط الأحوال، وكثرة القيل والقال، وكثرة التعصب والحمية، بما لا يجلب الطائل ولا المزية أرسلت إليكم هذه الوصية لتقيكم –بحول الله وقوته– ما وقع في هذا الزمان من البلية...».

إلى أن قال: «ومن أحسن إليكم فأحسنوا إليه، ومن أساء إليكم فكلوا أمره إلى الله يكفيكم شره، وإن كان لكم مقام في الإحسان إليه فذلك الفتوة».

إلى آخر نصائحه وتوجيهاته الزاخرة بالحكم والعبر والدروس.

ـ اعتبار الفروق الاقتصادية الفردية، وكان رضي الله عنه يهتم كثيرا بالفروق الاقتصادية الفردية لهذه الطبقة، وزاد اهتمامه بالطبقة المعسرة، فجاهد حق جهاده في تحقيق التكافل الاجتماعي الذي يخلق التوازن بين الأفراد، ودعا الطبقة الموسرة إلى مساعدة من دونهم بالصدقات والهبات، وساهم بشكل كبير على تقرير وجوب إخراج الزكاة من الفول السوداني، الذي من أكبر المحصولات الزراعية في البلاد، ومع ذلك كان جلة من العلماء يفتون بعدم وجوب الزكاة فيه، فسرد أدلة وحججا بينة، أظهر فيها دقائق هذه المسأله وخباياها، مما جعل البعض يتراجعون عن فتواهم السابق.

ـ الدعوة إلى التخلق بالأخلاق المحمدية، من التقوى، والزهد، والورع، والصدق، والصبر، والعفو عند المقدرة، والتسامح، وغيرها.

ولعلمه بأن الشباب والمراهقين هم أكبر ضحايا الفساد، فهم الذين يشتغلهم الصنفين الآخرين لمصالحهم الشخصية ازداد اهتمامه بهم،

فألف كتابا خاصا لتحصين الأولاد من الفساد والانحلال الخلقي الذي قد يعيق سبيلهم، كما عبر كثيرا عن تأسفه لحال بعض الشباب:

وآكل أموال اليتامى وتاركا

لوالده في فتنة وعناء

وتارك أوقات لخدمة شيخه

كعابد أثنام بغير مراء

هل الشيخ أعلى رتبة لنبينا

فجاهدْ صلاةُ الخوف غير خفاء

ولما كان الجهل والفراغ الديني هما أكبر مسببات الفساد عند الشباب نادى شباب مجتمعه لتناول التطعيم ضدهما، فقال:

ألا يا بني هذا الزمان دعوتكم

لإحياء دين بالعلوم أجيبوا

الصنف الثاني: الخواص، ويشمل العلماء ورجال الدين والطبقة المثقفة، وغيرهم، وقد اهتم الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه على هذه الصنف، باعتباره الصنف المؤثر على العوام، فبصلاحهم يسهل عملية إصلاح العوام، وبفسادهم ينخرم المجتمع ويتقطع أوصاله، ولهذا اعتنى الشيخ الحاج مالك سه «رضي الله عنه» بتبيين وتوضيح مواصفات الشيخ المربي والقدوة الصالح، ومن أبرزها ما يلي:

أولا: التأهيل العلمي، وذلك بأن يكون مؤهلا علميا وتربويا للقيام بعملية الإصلاح، يقول في الكفاية: فعلى من ابتلي بالمشيخة النظر في أحوال نفسه فإن علم من نفسه الاتصاف بالعلم والعمل كما بيّنّا دعا من أحبه من المسلمين ونصح له، وإن لم يكن عالما ولا عاملا، وجب عليه تحصيل العلم والعمل، وترك المشيخة، ليسلم من وبالها يوم القيامة، فإن الجاهل والفاسق بعيدان من الله تعالى، فكيف يقربان غيرهما إليه.

ويترتب على هذه النقطة أن يكون مأذونا في التربية والإرشاد والترقية؛ فتكون حلقته متصلة بالحلقات إلى القدوة الأعظم صلى الله عليه وسلم

ثانيا: العمل بعلمه، وذلك بأن يكون تقيا مستقيما على الكتاب والسنة، يقول في الكفاية: «وشروط المقتدى به ثلاثة هي تحصيل الإنابة: أولها: قيامه بحفظ حرمة الله تعالى ورسوله وأهل الاختصاص من عباده مع الرحمة لكافة خلقه، والقيام فيهم بحقه. الثاني: صحة أعماله بالسنة والتقوى، وتكميله بشهود المنة، وترك الدعوى ظاهرا وباطنا، حركة وسكونا، في كل وقت، وعلى كل حال. الثالث: إحكام أمره بالبصيرة النافذة والعلم الصحيح...»

وقال مستشهدا بقول ابن رسلان:

فَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ

مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عَابِدِ الْوَثَنْ

ثالثا: عدم إثارة الفتن في خطاباته وأعماله، ويؤيده في ذلك مخاطبة الأتباع على قدر عقولهم كي لا يؤولوا كلامه إلى وجه آخر، يقول في الكفاية: ومما ينبغي، بل مما يجب على كل من جلس للإرشاد أن لا يُكلم الناس مما لا تبلغه عقولهم؛ لأن ذلك كثيرا ما يجلب الفتنة؛ لأن المجالس قلّما تخلو عن المنكرين، فيكون الكلام تأنيسا للعارف والمعتقد، وفتنة للمنكِر». ويقول في كتابه فاكهة الطلاب:

مجتنب الموجب في القلوب

ضغينة وسائر العيوب

رابعا: الاتصاف بصفات القدوة، وذلك بمعاملة الناس معاملة حسنة، ومداراتهم بأخلاق البر والإحسان، من لطف ولين وبشاشة وزجرهم بالحكمة والموعظة الحسنة إن ادعت الحاجة إليه، يقول في فاكهة الطلاب:

يعفو عن الإخوان من كل الزلل

ويبسط العفو على كل خلل

إلى أن قال:

يزجره بالرفق والكلام

ذي اللين لَا التشديد والملام

عاملهم بالرفق والتيسير

باعد عن التنفير والتعسير

خامسا: الابتعاد عن الطمع والأنانية، وذلك بعدم الالتفات إلى ما في أيديهم من الأموال إلا في حق مقرر في الشريعة، يقول أيضا:

ولا تطالبهم من القليل= ولا من الكثير يا خليلي

إلا الذي سمحت النفوس= ببذله فذلك النفيس

سادسا: تحمل أذى المجتمع، وذلك بالصبر

على أخطائهم، وعدم توبيخ المسيء، يقول:

فشأن رجال الله حمل أذى الورى

كذا فليكن من للإله تشمرا

سابعا: تحمل المسؤولية، باعتقاده أنه هو المسئول الأول لأحداث المجتمع، يقول:

ألا نبِّهوا الأتباعَ كيلا تُؤاخَذوا

بما أحدثوا في الدين دون سواء

على كل متبوع دَلالةُ تابع

لما هو أجدى لا لجلب عطاء

وتعليمهم فرض ولو بإجارة

وإلا عليك الإثم يوم لقاء

وبجانب اهتمامه ببيان مواصفات القدوة الصالح، فإنه أقض مضجع المدعين للعلم، ووضح انزلاقاتهم، وشهّر بطلان ادعاءاتهم، وأظهر فساد تأويلاتهم، ومغبّة ضلالهم وإضلالهم، ومنها قوله: وبعض مدعي هذا الشأن الذين غلبت عليهم أهواؤهم وصفات بشريتهم يدّعون الشيخوخة من رعونات النفس قبل أوانها، ويخدعون الخلق بأنواع الحيل، ويستتبعون بعض الجهلة، ويصيدونهم بكلمات أخذوها من الأفواه، ويمكرون ببعض أهل الصدق من الطلبة، ويقطعون عليهم طريق الحق بأن يمنعوهم من صحبة أهل الحق ومشائخ الطريقة، ويأمرونهم بالتسليم والرضا فيما يعاملونهم، ولا يعرفون غيرهم فيعبدونهم من دون الله، كما هو دأب أكثر مشائخ زماننا هذا، فإنه ليس من دأب من يؤتى الكتاب والحكم والنبوءة.

إلى أن قال: «فلا شك عند أهل العلم أن الدجاجلة هم الأئمة المضلون لاسيما من متصوفة الزمان، أو متشيّخهم، وقد شاهدناهم في عصرنا هذا قاتلهم الله حيث ما كانوا».

وقال أيضا في هذا الصدد:

وضامنَ جنات من المكر آمنا

وخسران ذي أمن شديد جلاء

ومن يدعي مهدية لاغتراره

وحمق وجهل جالب لشقاء

وما كل سودا تمرة عند ذوقها

ولا كل بيضا شحمة بإخاء

ثم دعا العوام بأن ينتبهوا عن غفلتهم، ولا ينخدعوا بالكلمات المزخرفة، فقال: «فالحذر الحذر من صحبة الجاهل المدعي، والحذر ثم الحذر من صحبة العالم باللسان، الخالي عن التخلق بأخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فإن صحبتهما عين الفساد».

الصنف الثالث: السلطات، وهو الملوك والأمراء وأعوانهم، وقد اعتنى الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه بصلاح هذه الطبقة أيضا، فهم مظاهر الله في خلقه، ولا أدل على ذلك من النصائح التي قدمها للسياسي بليز جانج **Blaise Diagne**، لما طلب منه نصائح يعمل بها بعد وصوله إلى السلطة، فقال له الشيخ: «السياسيون تتغير طبائعهم بمجرد الوصول إلى السلطة، لكن الذي أوصيك به:

لا تعرف السلطة وحدك، **ne connaît pas le pouvoir tout seul (boul ko kham yaw rek)**.

لا تدّعي كل حقوقها لوحدك، **t'en donne pas tous les droits (boul ko sagne yow rek)**

لا تمارسها وحدك، **ne l'exerce pas tout seul(boul ko dieufé yow rek)**.

ولما كان الشغب من أكثر مسببات الاضطراب السياسي، فقد كان الشيخ حريصا على استقرار الدولة، ولهذا فقد كان يأمر طاعة أولي الأمر، ويوصي بعدم الخروج عليهم، وفي ذلك يقول: «ولا تخالفوا أمراءكم فيما يأمرونكم به، وكثير لما يتولد من المخالفة فتنة كبيرة».

وفي الختام يمكن أن نستخلص أن الشيخ الحاج مالك سه رضي الله يولي اهتماما كبيرا بصلاح مجتمعه، ليس فقط على طبقة واحدة، بل كان يرى بأن الإصلاح يجب أن يشمل جميع طبقات المجتمع، شبابا وكبارا، رجالا ونساء، خواصا وعواما، حاكما ومحكوما، غنيا وفقيرا، فبصلاح هذه العناصر يستقيم المجتمع، وباستقامة المجتمع يسود الأمن والاستقرار، وبهما العمران الذي من أهم أسباب خلق الأخلاق، {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا[1]}.

بقلم: الحاج عبد امبنغ

(١) - سورة هود/ الآية: 61.

الثالوث المهدّد لحياة الشّاب السنغالي
وأهميّة التّصوّف في الحدّ من أخطاره

من أكبر التحدّيات التي تعرقل مسيرة الشباب في المجتمعات الافريقية بصورة عامة وفي المجتمع السنغالي بصورة خاصة هذا المركب الثلاثي (البطالة، والمخدرات، وال(SIDA)) وهي ظواهر مرتبطة بعضها ببعض، بل تعتبر أوجها مختلفة لعملة واحدة، لأن كلا منها يؤدّي إلى محصلة واحدة، هي التلاشي والرجعية.

فالبطالة لها معنى مرير في كل لغات العالم لما تحمله من معان سيكولوجيه مؤلمة: معنى الرفض والدونية والتخاذل واللامسوؤلية، ومعان أخرى مادية: إهدار الطاقة، وضياع الوقت والاتكال على الاخرين، وكل هذه المعاني توحي خسارة كبيرة ربما تتحوّل إلى معول هدم وأداة خراب للمجتمع، في وقت يكون فيه السنغال بحاجة ماسة إلى البناء والتطوير، ولعلّ هذه الظاهرة(البطالة) هي ماجرّت بعض الشباب إلى المغامرة في الصحارى الليبية أو الارتماء في أعماق البحار قاصدين البلاد الغربية مما يؤدّي في أغلب الأحيان إلى فقد أرواحهم.

والتصوّف السنّي الحق من مبادئه التي يتبناها أهله الصادقون – لا مدّعي التصوف، والتصوف بريء منهم- الأكل من عمل اليد ومن الكسب الحلال ،ولهذا يقع على عواتق بيوت المشيخة أن يصبغوا أتباعهم بالصبغة الصوفية التي تؤمن بروح العمل على أساس (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) والجيمات الثلاثة للشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه خير علاج لهذه الظاهرة.

أما المخدّرات فلها أقسى الدلالات وأسوأ المبرّرات، إذ يزعم البعض بأن استعمالها تخفّف من حدّة وطأة الظروف عليهم وتراكم المشكلات، وأن لاحول لهم ولا قوة إلا بتناولها، في حين يغفلون أنها خراب لعقول كان ينبغي أن تكون قبسا وشعلة يستضيء بها السنغال ليجد طريقه إلى التقدم، و ينسون بأنّ الخلاص من هذه المشكلات مرهون بالصلاة وذكر الله سبحانه وتعالى وقراءة القرآن، إذ أن سريان الذكر في قلب المرء يجعله يشعر بالراحة النفسية والطمأنينة بعيدا عن القلق والتوتّر (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وهذا ما جاء لمعالجته التصوف الصرف الخالية من الشوائب والمبني على ذكر الله تعالى ومراقبة المولى في كل ما يأتي به المرء أو يذر.

أما ال(sida) وهو مرض فقدان المناعة المكتسبة، فهو مأساة اجتماعية وكارثة أخلاقية بل فتنة دينية، يخلق حالة إحباط عظمى في وسط المجتمع، فليس فقط مشكلة صحّية في ظاهرها، ولكن يحمل في ثناياه كل معاني الضياع والدمار.

والناظر لهذا المرض، يجده قبل كل شيء نتيجة نقص في قيمنا الاجتماعية والأخلاقية (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) بل هو نتيجة لسلوك بشريّ منحرف راح ضحيّته الشخص نفسه وآخرون أبرياء، ولم تعد القضية قضية صحة فقط بل قضية موت وحياة، وهو خسارة يجب الحيلولة دونها، ولا سيما أن هذا الداء المخيف مرعاه الخصب هو أوساط الشباب الذين هم أمل المستقبل،

ولقد نجح شيوخنا الأجلاء في تربية مريديهم على العفة وكبح جماح النفس ورد شهوتها حتى لا تقودهم إلى ما لا تحمد عقباه، وهي تربية تنطلق من منطلق الاحسان – الذي يعني أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك- والذي وضع على أساسه التصوف.

وعلى هذا نرجو إعادة التصوف السني الحق الذي كان الشيخ الحاج مالك سه رضي الله عنه يتبناه ويربي عليه أتباعه، والقائم على العلم والعبادة المترجمة بالسلوك، والكسب الحلال، وبهذا يمكن القضاء على هذا الثالوث الخطير واستئصال جذوره، فلا بطالة، ولا مخدرات ولا sida. وصلى الله وسلم على الفاتح الخاتم الناصر الهادي وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

إعداد الاستاذ عبد العزيزكولي

«التصوف وتربية الشباب في ظل الحضارة المعاصرة»

الشباب ذلك الحبل الممتد بين الماضي والمستقبل أعني ذلك القطاع المهم والحيوي النشط و المحرك في المجتمعات والذي بات القوة الفاعلة في التغير والتطور، أصبح يعيش في عصر الطفرات العلمية والمخترعات والاكتشافات مسارعة وكبيرة جدا ، الحال الذي أثر على سلوك الشباب سلبيا وإيجابيا،فصارت غالبية الشباب تعيش حالة التحرر والتمرد على القيم الدينية والتي هي المصدر الأهم في التربية الحديثة في مجتمع يسود فيه التصوف الإسلامي ، وعليه فإن السؤال المطروح هو هل التصوف قادر على تربية الشباب تربية صوفية روحية قادرة على سد المنافذ التي يدخل منها فساد الأخلاق والقيم ؟ ثم هل التصوف قادر على توجيه الجيل الجديد إلى الحياة وإعطائها قيمتها الأخلاقية من جانب والتعامل مع هذه الحضارة من جانب آخر، وتأدية رسالته في الاستقامة على الوسطية والاعتدال بعيدا عن التعصب والتشدد والإفراط والتفريط؟

إن علة الشباب اليوم تكمن في انحرافه عن الدين و الأخلاق و القيم الاجتماعية الصحيحة ؛ والأخلاق عماد كل مجتمع متطور (و إنما الأمم الأخلاق ما بقيت....فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا) ولا نقصد بانحراف الأخلاق التحلل و الإباحية والفساد الجنسي فقط ، بل كل ما هو معارض ومتقاطع مع ديننا الحنيف في التحليل والتحريم ، هذه الأخلاق التي أتمها و أكملها الكامل المكمل النبي المصطفى الأعظم صلى الله عليه وسلم القائل : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقد وصفه رب العزة بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم) ويقول الشيخ الحاج مالك سي- رضي الله عنه - مادحا كرم أخلاقه:

من كل وصف حميد حاز أفضل تفـ

ـضيل رجاء البرايا يوم مزدحم

وكان أشجع أسخا الناس أحسنـــهم

خلقا وخلقا وخير الحزب والأمـــم

دور التصوف: ومما تستدعي الانتباه، أنه في زمن الضعف والفوضى وفساد الأخلاق ومآل الأمور إلى غير أهلها، ينهض التصوف لمتصدي المشكلات ومعالجتها للعودة بالمجتمع إلى الطريق المستقيم، على عكس ما يشاع من أن التصوف يزدهر في عصور التخلف والانحطاط، وذلك أن المتصوفة يسعون جادين لحل المشاكل الاجتماعية ومحاربة الجهل والتخلق والانحلال الخلقي .

وإن المتتبع لمواقف رجال الصوفية في المجتمعات الإسلامية في زمن الفتن والفوضى و الاختلافات يدرك ذلك جليا وخصوصا في بلادنا الأبية من أمثال المجدد الكبير والمرشد العظيم الشيخ الحاج مالك سه و خلفائه الكرام ، وقد كانت لهم مواقف حكيمة ونادرة للنهوض بالمجتمع وصانته ، وذلك لا يحتاج إلى برهنة لأنه شمس ضحى تفرض وجودها على الآفاق .

ويخطئ من يتصور بأن التصوف هو الانعزال عن الحياة أو العزوف عنها، والتوجه كليا للعبادة بمعناها القاصرة على أداء الشعائر التعبدية والزهد فقط بل هو مشاركة إيجابية في مختلف الأنشطة والحرف والوظائف العامة، مع المحافظة على آداب الشريعة الإسلامية السمحة ...

إن التصوف الإسلامي أعظم القوى الروحية في العالم ، وأكبر الدعوات الانبعاثية في التاريخ ، وأهدى المناهج الخلقية والتربوية التي ترتكز عليها الأمم في نهضتها ، وتستند عليها الشعوب في وثبتها، لتكون دليلا ومرشدا للمسلم وهو يبني حياته بنفسه للغد العظيم ، فالتصوف الإسلامي عمل وسلوك وتطبيق، ولقد عمد كبار المتصوفة إلى كسب رزقهم بأيديهم ، وأفنوا حياتهم في خدمة الناس ، متضرعين إلى الله في الليل ومكتسبين أرزاقهم في النهار ، لم ينعزلوا عن الحياة ، بل أخذوا منها للآخرة ،كما قال تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهذا ما كان يعمل به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام - رضي الله عنهم - ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم ، وإلى ذلك يشير الشيخ الحاج ملك - رضي الله عنه - في قوله :

وعاقل يكون في شيئين يسعى فلا ثالث دون مين

حـــسنة تكون للمعاد ودرهم من المعاش باد

إن الدنيا وسيلة للحصول على الآخرة ،وإنالإسلام يقرنالإيمان بالعمل الصالح ، وعلى هذا الأساس دعا

المتصوفية إلى ضرورة الجمع بين الاعتقاد والعمل ، فقد أثر عن الشيخ الحسن البصري ـ قدس الله سره ـ أنه قال : (ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوما خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) ، إذن فإن مرتبة التربية الكاملة في التصوف تتحقق في الإنسان الذي يستطيع التوفيق بين الإيمان بما يتضمنه من أبعاد روحية وقلبية ، والعمل الدنيوي الذي يريد من ورائه صلاح نفسه ومجتمعه وتقدم أمته.

ونحن في هذا العصر ، علينا أن نوجه الشباب المؤمن إلى أن يسهم إسهاما فعالا في كل نشاطات المجتمع ، العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية إضافة إلى الدينية ، عليه أن يتعامل مع الشبكة العنكبوتية والحاسوب والهاتف النقال والفن والأدب والهندسة والطب والقانون ، وكل ما هو وسيلة لتقدم المجتمع ،ويؤدي إلى رفاهية الناس ما دام في حدود الشرع الحلال ، وبالاتجاه البناء لا الهدام ؛فالبناء الروحي هو الأساس الذي يعتمد عليه البناء العقلي و الأمور الأخرى سلوكا و فكرا و إحساسا ، نحن بحاجة إلى تربية الشباب تربية تجعله عضوا حيويا في بناء مجتمع يشرق فيه العدل و الحرية والطمأنينة و الأخوة والصفاء ، تتحقق فيه الإنسانية، لا فرق بين ذكر وأنثى ، ولا بين أسود وأبيض، ذلك هو منهج التصوف الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم والأنبياء الذين قبله عليهم الصلاة والسلام وهو المنهج الذي يمكن أن ينهض بمهمة الجمع بين الحياة الروحية والحياة المادية تحت ظل الحضارة الراهنة .

بقلم مدير مدرسة التفسير أحمد فال يَمَّ ـ غَايْ مِخِيْ ـ

الأستاذ حسين فال

Nos sincère remerciement s'adresse à nos partenaires :

Serigne Abdoul Aziz Al Amin (RTA).

Serigne Babacar Mansour Khalife Général des Tidjianes et toute la Famille SY.

Serigne Sidy Ahmad Sy Khalifa.

Serigne Pape Malick SY porte parole.

Serigne Mawdo SY Dabakh et ses frères.

Serigne Mansour SY Djamil et ses frères.

Serigne Mame Ousmane SY HABIB et ses frères.

Serigne Mansour Al Macktoum et ses frères.

Serigne Cheikh Tidiane Mansour et ses frères.

Serigne Babacar SY Abdou et tout la famille da Al Amin.

La fondation Mouhamed VI des Oulémas d'Afrique

Sérigne Samba DIAGNE Sanar.

M. Makhtar CISSE DG SENELEC.

Le président Cheikh Tidiane GAYE et les membres de la coordination Tidiane de Dakar.

M. El Hadji Mansour MBAY.

M. l'honorable député DIOP SY.

M. AL Hassane SARR MANSOUR PDG.

Maitre Serigne Mbaye BADIANE.

M. ALIOUNE SALL président L'AMS.

M. Makhtar NDIAYE Abdou AZIZ opérateur économique

M. Abdoulaye NDIAYE NGALGOU Abdou AZIZ directeur de société

M. GORA SECK Abdou Aziz directeur de société

M. Cheikh Tidiane SECK Directeur de socéité

M. Abdoulaye DIA Directeur Général du société SENICO

M. Moustapha NDIAYE opérateur économique

M. Papa FALL opérateur économique NDIASSANE

M. ZOUHER ARIDIM

M. Famara SYLLA

M. MODOU SYLLA et ses frères

M. Malick FAYE et compagnons

M. El Hadji FALL SARR DAKAR DEM DIKK;

M. Mamadou NDIAYE RAHMAH opérateur économique

Sokhna Adjaratou Ndella WADE

Sokhna Seynabou DOUKOURE

Tout les féderations de Dahira Tidjane, les Oulémas, Moukhadams ,Imams et Talibés.

Le COSKAS et ses membres.

التآخي بين الطرق الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد :

إن التصوف الإسلامي كمدرسة تطبيقية لروح الشريعة الإسلامية ومبادئها لا يُهمل أحد أبرز سمات الإيمان بالله ، وأحد أبرز مصادر القوة لدى المؤمنين ثم يكون له مصداقية أو رؤية صحيحة في دعوته إلى تطبيق أصول ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف تطبيقا عمليا بحافز الإيمان بالله ومحبة عباده يقول رسول الله: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل جسد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى » ، ويقول عز من قائل : إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الصف : ٤ .

والواضعون للقواعد الكلية لعلم التصوف لا يسعهم وهم العارفون بالله وأولياءه والمتقيدون بكتابه وبسنة نبيه الكريم لا يسعهم الخروج عن القاعدة الإخوانية التي تربط بين أفراد الأمة الإسلامية جمعاء، بل إن التآخي في الله أصبحت في قاموس مفردات علم التصوف ، من الكلمات الأكثر تداولا في ألسنة أهله حيث يرى شيخ الطريقة أن المريدين إخوة له، ويرى بعضهم أخا في الله لبعض ، ويتنادون بينهم باسم أخي في الله . والأمر يتجاوز هذا الحد ليصل إلى حد أبعد منه، حيث يعتبر الصوفي أن الصوفي أخوه، سواء ينتمي إلى طريقته أو إلى غيرها من الطرق . لذا ترى الطرق الصوفية تلتقي في ندوات عالمية مرة في المغرب، ومرة في ليبيا ، وأخرى في تركيا أو في بلد آخر للتعارف فيما بينها والتقريب بين وجهات نظراتها ، ودفاعا عن مبادئها :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وإنك لتجدها بين الجمعيات الإسلامية وحتى مع أصحاب الملل الأخرى تشارك مشاركة فعالة وتبلي بلاء حسنا، تسدي وتلحم إن جاز التعبير، تعطي وتأخذ ، تطرح وتحلل إيمانا بالأخوة الإسلامية العامة التي تذوب فيها نفسها ذوبان الملح في الماء علما بأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ...

إذا كانت الطرق الصوفية هكذا مع غيرها في المحبة والاندماج وحسن الجوار والتعايش السلمي الذي هو من مميزات هذه الطائفة الفاضلة، فلا تسأل كيف ستكون مع نفسها؟ أتصادقها وتتعاطف معها؟ أم تعاديها وتناهضها؟ وهي الأقرب إلى بعضها وتجمعها قواسم مشتركة عديدة وليس بينها اختلاف جوهري سوى التعددية الموجودة فيها. كما هي موجودة أيضا في المنظمات و الجمعيات و المذاهب الفكرية الإسلامية فإنها وإن تعددت الوسائل فالغاية واحدة وهي المعرفة بالله.

فالتآخي بين الطرق الصوفية ليس مجرد نظرية تلقى أو فضيلة تذكر أو نصيحة تقال لكنه فوق كل هذا واقع يعيشه أهل التصوف.

فمن الناحية النظرية والفكرية، نجد صاحب الطريقة التجانية مولانا الشيخ يعدّ عدم المقاطعة بين المريد وبين جميع الخلق ولاسيما بينه وبين إخوانه في الطريقة شرطا من شروط التعلق بطريقته ، وينصحهم على سبيل المثال لا الحصر على احترام كل أولياء الله وعدم النيل من أعراضهم وتعظيم كل المشايخ واحترام أورادهم كما نجد الشيخ الحاج مالك سي وهو من أكابر الخلفاء في الطريقة التجانية يشجب على ما كان عليه بعض العوام من الناس في التفاضل بين طرق المشايخ قائلا :

تفاضل الطرق والجدال حديثهم
كما قال زروق جزاه مجيب

ثم أخذ يوجههم ويرشدهم إلى الحقيقة المجمع عليه ويقول :

فالطرق كلها إلى الرحمان
موصلة مسلكة ياجاني

وكما نجد شيخا آخر وهو مؤسس الطريقة المريدية الشيخ أحمد بمب ينوه بهذه الحقيقة ويبرزها قائلا :

فكل ورد يورد المريدا
لحضرة الله ولن يحيدا

سواء انتمى إلى الجيلاني
أو انتمى لأحمد التجاني

أو لسواهما من الأقطاب
إذ كلهم قطعا على الصواب

وربما تقف على كتاب يحمل عنوانا بهذا السياق مثل كتاب: «تحذير الإخوان من اتخاذ طرق السادة الخلصان وسيلة للتفرقة بين المسلمين في البلدان» لمولان الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ لو اطلعت عليه لوجدت ما يهدي الحيران ويسقي الظمآن وهكذا نجد كتابات المشايخ الكرام زاخرة بالأخلاقيات الإسلامية والنصائح الإنسانية .

أما من الناحية الواقعية فتحدث ولا حرج ، فقد ضربوا المثل الأعلى في تطبيق مبدأ التآخي بينهم تطبيقا عمليا في صور وأشكال مختلفة : حينا يتبادلون الهدايا وحينا يتبادلون الزيارات وأحيانا أخرى ينتهي بهم التآخي إلى قمته وهي المصاهرة؛ لقد زوج الشيخ الحاج مالك إحدى بناته السيدة أسْتُ سي بشيخ من مشايخ الطريقة القادرية في مدينة سانت لويس، وكذلك الشيخ الخليفة أبوبكر سي تزوج بامرأة تسمى مريم كُنْتَ وهي بنت لأحد الشيوخ في الطريقة القادرية. أنظر هذه المجاراة الشعرية الرائعة بين زعيمي الطريقة القادرية والتجانية الشيخ سعد أبيه والشيخ الحاج مالك ، فقال الشيخ الحاج مالك :

سلام عليكم هاجه الشوق والود
قد انحط قدرا عنده المسك والوَردُ

جزيتم كفيتم أهل بيت رسولنا
فمنكم يحط الخير والرشد والسعد

أيا سعد سعد الدين شمس زماننا
فلا زال يروي من مناهلك الوردُ

فجارى عليه الشيخ سعد أبيه بنفس البحر والقافية قائلا :

على فائق الأقران مالك دهره
يعود سلام طاب ليس له حد

تطيب به الأرواح إن فاح نشره
وفي طيه من عندنا الود والعهد

فإن يكن الأشراف حازوا سعادة
وسعدا من المختار ما مثله السعد

فمالكنا المشهور حاز اتباعه
فنال مقاما دونه النشر والسعد

وكذلك نجد المجاراة بين الشيخ الحاج مالك والشيخ أحمد أحمد بمبا ، الأول يقول:

هدية موجبها الاجتلاب
محبة يا أيها الحُباب

أدام ربنا حبل الوصال
يقي لنا شر الذي عدا وصال

والآخر يجيب :

جزاكم خير الجزا الوهاب
وفي صفا الوداد لا ترتاب

فكيف لا والمصطفى المجاب
قائدنا فالقتل لا نهاب

وفي البيت الذي يلي يتجلى علناً منزلة الشيخ الحاج مالك عند أخيه الكريم الشيخ أحمد بمب حين وضعه فوق كل أصدقائه ويقول:

وما اتخذت خليلا كنت أعرفه
إلا جعلتك فوق الكل في الرتب

إن المتأمل لهذه الصورة الجميلة من تبادل الاحترام و التقدير والإجلال والإكبار المعبر بشكل الصلات الطيبة مرة وبشكل الإنتاج الأدبي الرفيع مرة أخرى يدرك أن هذه الرموز الدينية كانت تعيش في جو يسود فيه التفاهم والوئام والمحبة، كما يرى بأم عينه أن الاتهامات التي وجهت إلى الطرق الصوفية بأنها طرق متعادية أو أنها عامل تفكيك لأواصر الوحدة بين المسلمين اتهامات لا أساس لها من الصحة .

بقلم السيد: بابا مختار كيبي
الكاتب العام للشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ
رضي الله عنه

لمـــاذا الفـــاتح؟

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الفاتح وما أدراك ماالفاتح؟

إنها تلك المجلة العلمية الدينية التي يصدرها معهد الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه سنويا بمناسبة عيد المولد. وقد تطورت لتتحول إلى جمعية، وذلك في يوم الاثنين المبارك الموافق / 22 / 08 / 2016م بإذن من الشيخ عبد العزيز الأمين التجاني، وبحضور نخبة من الأئمة والعلماء والمثقفين من أبناء الحضرة المالكية لغرض:(إعلاء القيمة العلمية في الحضرة المالكية، والدفاع عن التصوف و الطريقة التجانية، والتخلق بمبادئها السنية) تلك التي جاءنا بها مقدم البركة ومحيي السنة، الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه ذلك المجدد المصلح الاجتماعي الذي ربى أتباعه بمدرسته التي قيدها بالمذهب المالكي،والعقيدة الأشعرية، وبالأسس التي تأسست بها طريقة شيخه أبي العباس أحمد بن محمد السالم التجاني،وهي:التقيد بـ (الكتاب والسنة)، فلا حكم عند التجانيين إلا لله ورسوله، وكل قول لا سند له في القرآن والحديث فباطل، يقول شيخنا التجاني رضي الله عنه في جواهر المعاني:» ولنا قاعدة واحدة عنها تنبئ جميع الأصول أنه لا حكم إلا لله ورسوله،ولا عبرة في الحكم إلا لله ورسوله.... وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم، ولصريح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرام الفتوى بها، وإن دخلت في كتب الفقه، لأن الفتوى بالقول المخالف لنص القرآن أو الحديث كفر صريح مع العلم به.[1] قال الله عز وجل:(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)[2] وقال صلى الله عليه وسلم:(من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)».[3]

وعلى هذه القاعدة تمسك بها الشيخ الحاج مالك فدعا إلى إحياء الدين الذي لا يمكن إلا بالعلم بالكتاب والسنة، والعمل بهما. وحارب البدع والخرفات والأساطير، ونبه الشيوخ على ضرورة تنبيه الأتباع،و الذي لايتم إلا بتعليمهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح، ليخلصوا العبادة لربيهم. وفي ذلك الصدد يقول:

ألا يابني هذا الزمان دعوتكم

لإحياء دين بالعلوم أجيبوا

نصحتكم لله لا غير مطلبي

فعون إله العالمين حسيب[4]

فجمعية الفاتح : لنفخة مصدور لوعي فكري تجاني، تولد من أبناء الحضرة المالكية، تلبية لدعوة الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه، إلى ضرورة العلم والعمل بالكتاب والسنة، والتأدب بآداب التصوف الإسلامي التي دعت الحاجة والضرورة إليها، خاصة في هذه الآونة التي جفت قلوب الشباب بذكر الله، فالمساجد لم تعد تعمر بل تخرب،ولم تعد يذكر فيها اسم الله بل يمنع من ذكر اسمه فيها.(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)[5] ألم يقل المولى عزوجل: (في بيوت أذن الله أن ترفع

ويذكر فيها اسمه...)[6]فهذه وغيرها مما آلت العالم إلى ما عليه الآن من الأزمات التي تولدت من

(1) ـ التجانية الأحمدية والسنة المحمدية/ للمفتش شيخ تجان غي/ ص 48./ ط1 2005

(2)ـ المائدة الآية 44 .

(3)ـ رواه مسلم.

(4) ـ ديوان العلامة الشيخ الحاج عبد العزيز سي رضي الله عنه ص16 ج 2/ ط 1 2002 .

(5)ـ البقرة الآية 114

(6)ـ النور الآية 36

فساد القلوب التي لن يصلحها إلا الدين الإسلاميي الحنيف. الذي مصدر القيم والأخلاق الفاضلة. و التصوف الإسلامي الذي من أحد مراتب الدين(الإحسان) وبهذا المقام أيضا يكتمل،لأنه الغاية التي من أجلها كلف المسلم بالعبادة.(الإخلاص) قال تعالى: (وما أأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)[1] فالإخلاص عين التصوف الذي فطرة قائمة في النفس الإنسانية شأنه في هذا شأن التدين، و إن كانت نشأتهما واحدة، وغايتهما واحدة، وكان كل منهما مكملا للآخر، فالدين إن خلا من التصوف جفت أصوله وذوت أغصانه وعطبت ثمرته. والتصوف بغير دين سحاب جهام لا مطر معه وسراب خادع يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.»

لماذا اسم الفاتح؟

وتسمية الجمعية بـ «الفاتح » ليس إلا تيمنا وتبركا بـ «صلاة الفاتح»(اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم).تلك التي من أحد أركان الورد اللازم الثلاثة: (الاستغفار والتهليل والصلاة على النبي) وقد يبينه الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه في فاكهة الطلاب عند قوله:

ألفاظه استغفار التهليل
ثم الصلاة مئة خليل
بأي صيغة وأما الأفضل
فقل صلاة الفاتح قد فضلوا.[2]
تيمن به وانو التبرك باسمه...
ولا تعد في شيء طريقة رسمه[3]
(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين).[4]

وماهي أهداف الفاتح؟

«الفاتح» تسعى لتحقيق هذه الأهذاف:

1 ـ خدمة التراث العلمي والفكري في الحضرة.

2 ـ إعلاء قيمة تراث التربية الروحية في الحضرة.

3 ـ الدفاع عن التصوف الإسلامي والطريقة التجانية ومبادئها.

وقد حددت الجمعية آليات للعمل ومنها:

1 ـ تأسيس موقع إلكتروني.

2 ـ مشروع قناة فضائية

3ـ ندوات علمية

4 إصدار بيانات رسمية حول قضايا الساعة

5 ـ تطوير المكتبة المالكية ببحوث علمية في مختلف الفنون.

6ـ تحقيق مخطوطات الحضرة وإصدارها

7ـ تطوير حلقات مجالس التعليم في الحضرة.

8ـ مشروع تأسيس مركز ثقافي معاصر.

9ـ تخصيص عمل الجمعية للحضرة.

10ـ التبني المنهج المعرفي لحركات الجمعية

وبعون الله وفتحه المبين تم فتح هذا الموقع الإلكتروني لحفظ التراث وصيانته صوتا وصورة وقلما.

ولمن يود الإنضمام فالباب مفتوح لجميع أبناء الحضرة.

وهذه بطاقة تعريف الفاتح

تاريخ النشأة	2016/08/22م
الاسم	الفاتح
الشعار	ألا يابنيي هذا الرمان دعوتكم لإحياء دين بالعلوم أجيبوا
الأهداف	1 ـ خدمة التراث العلمي والفكري في الحضرة. 2 ـ إعلاء قيمة تراث التربية الروحية في الحضرة. 3 ـ الدفاع عن التصوف الإسلامي والطريقة التجانية ومبادئها
البريد الإلكتروني	Alfatihlimaoukh-com.likha@gmail
الموقع الإلكتروني	alfatihcom.www
المقر الاتصالات	تواوون 774291077 772753399 339552655

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم

محمد في: منسق حركات الجمعية.

(1) ـ البينة الآية 5
(2) ـ فاكهة الطلاب للشيخ الحاج مالك رضي الله عنه.
(3) ـ ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.ص16
(4)ـ الأعراف الآية 89.

أَبَا الْمُصْطَفَى مَالِي أَرَاكَ مُغَادِرًا؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه. وبعد:
فهذه مرثية طويلية رثى بها التلميذ «إبراهيم امبوج» فقيد الأمة الإسلامية عامّة، والطريقة التجانية خاصة، «الشيخ عبد العزيز» لا زال مغمورا برضوان مولاه العزيز:

تَفِيضُ عُيُونِي بِالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ ... فَقُلْتُ لَهَا جُودِي لِشَمْسِ الْمَغَارِبِ

أَعَيْنُ ابْذُلِي دَمْعًا وَدَمًّا غَزَارَةً ... لِشَمْسٍ بِهَا قَرَّتْ عُيُونُ الْكَتَائِبِ

هُوَ الْمُرْتَضَى مَا فِي رِضَاهُ مَلَامَةٌ ... وَكَيْفَ يُلَامُ الْمُنْتَقَى ذُو الْمَنَاقِبِ

عَزِيزٌ مَنِيعٌ لَا يُظَنُّ بِرِيبَةٍ ... بَعِيدٌ عَنِ الْأَدْنَاسِ عَالِي الْمَرَاتِبِ

أَمِينٌ سَلِيمُ الْقَلْبِ صَافِي طَوِيَّةٍ ... مِحَكُّ الْمَلَا عِنْدَ اشْتِبَاكِ النَّوَائِبِ

بَذُولٌ دَؤُوبٌ مَا عَرَاهُ سَآمَةٌ ... أَلَا إِنَّهُ الْفَيَّاضُ ضَافِي الْمَوَاهِبِ

رَشِيدٌ هَدَى الْمُسْتَرْشِدِينَ بِرُشْدِهِ ... أَلَا إِنَّهُ الْهَادِي وَبَدْرُ الْغَيَاهِبِ

لَقَدْ أَنْجَدَ الْمُسْتَنْجِدِينَ بِدَوْرِهِ ... وَمَنْ يَعْتَفِيهِ الدَّهْرَ لَيْسَ بِخَائِبِ

تَرَقَّى عَلَى عَرْشِ الْخِلَافَةِ حَامِلًا ... لَنَا كُلَّ كَلٍّ قَدْ تُكِلَّ لِكَاتِبِ

لَهُ مَنْطِقٌ فِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ رَاشِدٌ ... وَمَنْطِقُ حَقٍّ إِنْ صَغَى ذُو الْمَنَاصِبِ

أَبَا الْمُصْطَفَى مَالِي أَرَاكَ مُغَادِرًا ... دِيَارًا بِرُكْنٍ عَنْ جَمِيعِ الْأَقَارِبِ

فَنَمْ مُسْتَرِيحًا فِي ضَرِيحِكَ آمِنًا ... كَمَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا أَمِينَ الْمَوَاكِبِ

ضَرِيحٌ حَوَى بَحْرَ السَّخَا وَسَمَاءَهُ ... وَمَرْكَزَ فَهْمٍ وَالْمَعَانِي لِطَالِبِ

وَكَانَ أَمِينًا كَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ مَعْ كُلِّ صَاحِبِ

الجمعة 15 محرم 1439 موافق 2017/10/6

Parrain D'honneur

Serigne Abdoul Aziz Al Amine

Serigne Babacar SY
Mouhamadou Mansour
Khalife général des Tidianes

COORDINATION TIDIANE DE DAKAR

38èmes Journées Culturelles Islamiques

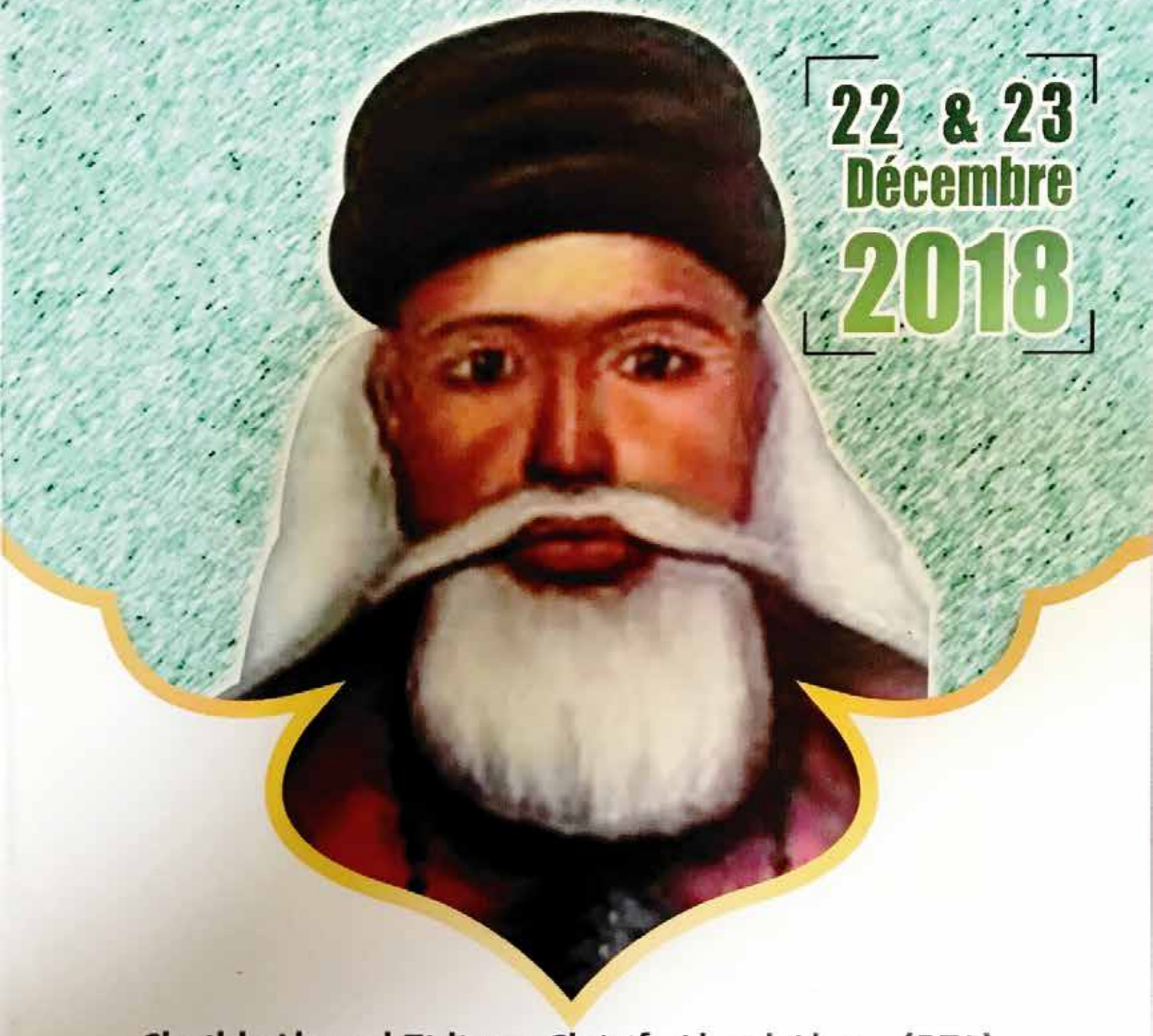

22 & 23 Décembre 2018

Cheikh Ahmed Tidiane Chérif, Aboul Abass (RTA)

INVITATION D'HONNEUR